٧

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرل للتنمية والدراسات الإسلامية

التنمية الحوزوية

الشيخ مرتضى الساعدي

1435هـ - 2014م

التنمية الحوزوية

ذكر الباحث بعض الأمور التي تعزز الثقة بالنفس وتكون دافعا لطلبة العلوم الدينية و سلوة لهم أمام العصف المزمجر من البلاء والامتحان الذي نتعرض له كطلبة وهذه سيرة الدنيا مع المهتدين والصالحين، فذكر أهمية العلم وعرّج على أهمية علم الفقه الذي هو من اختصاص طالب العلم وما يسعى لأجله وذكر منزلة طالب العلم ومن ثم استعرض بإيجاز حركة الفقه الشيعية ومدارسها وبعض روادها لنرى ما بُذل من جهد جبار لأساطين المذهب (رضوان الله عليهم) لنعتبر بمسيرهم ونتسلى بآثارهم وسيرتهم الفذة، وبعدها تطرق إلى أهمية الدرس و تحظيره والعناية به لنيل المبتغى مع ذكر بعض الفوائد والنصائح المهمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنام ونور الله في دياجير الظلام أبي الزهراء محمّد وعلى آل بيته الطيبين والطاهرين، واللعن الدائم الدائب أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إنّ لكل عاقل في سيره وعمله مقصدا لابد من تحديده وبدقة وبذلك يكون قد أمن التخبط وضياع الوقت ونحن ممن ننتهل من علوم آل محمد (صلوات الله عليهم اجمين) ولا أقل بأن هذه دعوى ندعيها فعلينا أن نعرف الهدف والمقصد والى أين نحن سائرون؟ وما هو مبتغانا؟ فخطر في بالي أن اذكر بعض الأمور التي تعزز الثقة بالنفس وتكون دافعا لإخواني الطلبة و سلوة لهم أمام هذا العصف المزمجر من البلاء والامتحان الذي نتعرض له وهذه سيرة الدنيا مع المهتدين والصالحين، فذكرت أهمية العلم وعرّجت على أهمية علم الفقه الذي هو من اختصاصنا وما نسعى لأجله وذكرت منزلة طالب العلم ومن ثم استعرضت بإيجاز حركة الفقه الشيعية ومدارسها وبعض روادها لنرى ما بُذل من جهد جبار لأساطين المذهب (رضوان الله عليهم) لنعتبر بمسيرهم ونتسلى بآثارهم وسيرتهم الفذة، وبعدها تطرقت إلى أهمية الدرس و تحظيره والعناية به لنيل المبتغى مع ذكر بعض الفوائد والنصائح المهمة لإخواني زادهم الله تعالى توفيقا وعلما، نسأل المولى تعالى أن نكون ممن ينصح نفسه اولا وينتفع بما ذكر لان لا أكون من اشد الناس ندما يوم حشري لان اشد الناس ندما يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه إلى غيره ثم شكري وتقديري لمن أسهم في قدح هذه الفكرة في ذهني والله ولي التوفيق.

في طلب العلم والحث عليه

لقد رفع الباري سبحانه وتعالى أهل العلم بقوله الكريم: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[1]، وقد حثت الروايات الشريفة على أهمية طلب العلم والتعلم إذ بالعلم يُعرف الحق ويُهتدى إلى الصواب إذا لم يكن المرء من أهل العناد والجحود، وبالعلم تكسب الآخرة وتبنى الحياة البشرية التي تكون حقا مزرعة للأخرة ودار الخلد والبقاء قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ألا وان الله يحب بغاة العلم.

[1] - المجادلة ١١

قال صاحب المعالم: اعلم أن فضيلة العلم وارتفاع درجته وعلو رتبته، أمر كفى انتظامه في سلك الضرورة مؤونة الاهتمام ببيانه، غير إنّا نذكر على سبيل التنبيه أشياءً في هذا المعنى من جهة العقل والنقل، كتابا وسنة، مقتصرين على ما يتأدى به الغرض، فان الاستيفاء في ذلك يقتضي تجاوز الحد ويفضي إلى الخروج عما هو القصد.

فأما الجهة العقلية، فهي أن المعقولات تنقسم إلى موجودة ومعدومة، وظاهرا أن الشرف للموجود. ثم الموجود ينقسم إلى جماد ونام، ولا ريب أن النامي أشرف. ثم النامي ينقسم إلى حساس وغيره، ولا شك أن الحساس أشرف، ثم الحساس ينقسم إلى عاقل وغير عاقل، ولا ريب أن العاقل أشرف. ثم العاقل ينقسم إلى عالم وجاهل، ولا شك أن العالم أشرف; فالعالم حينئذ أشرف المعقولات.

وأما الكتاب الكريم، فقد أشار إلى ذلك في مواضع منه:

منها: قوله تعالى في سورة العلق وهي أول ما نزل على نبينا، (صلى الله عليه وآله)، في قول أكثر المفسرين: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، حيث افتتح كلامه المجيد بذكر نعمة الإيجاد، وأتبعه بذكر نعمة العلم; فلو كان بعد نعمة الإيجاد نعمة أعلى من العلم، لكانت أجدر بالذكر. وقد قيل - في وجه التناسب بين الآية المذكورة في صدر هذه السورة المشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق وبعضها على تعليمه ما لم يعلم: إنه تعالى ذكر أول حال الانسان، أعني كونه علقة وهي بمكان من الخساسة، وآخر حالة وهو صيرورته عالما وذلك كمال الرفعة والجلالة. فكأنه سبحانه قال: كنت في أول أمرك في تلك المنزلة الدنية الخسيسة ثم صرت في آخره إلى هذه الدرجة الشريفة النفسية.

ومنها: قوله سبحانه: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[٢]، وقد فسرت الحكمة بما يرجع إلى العلم.

ومنها: قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)[٣]، وهكذا ذكر صاحب المعالم اثنتي عشر موضعا من الكتاب العزيز.

وأما السنة، فهي في ذلك كثيرة، لا تكاد تحصى فمنها قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)[٤].

---

[٢] - البقرة ٢٦٩

[٣] - الزمر ٩

[٤] - معالم الدين وملاذ المجتهدين-الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني-ص١٣-١٦

هذه الرواية وغيرها من الروايات الشريفة تحث الإنسان على طلب العلم والمعرفة لئلا يكون كالبهيمة همها علفها بل أن الجهل اخطر من هذا بكثير اذا بالجهل يقتل العلم وتخرب الديار وتسفك الدماء واليك التاريخ فأطلع لترى العجب العجاب، لان الجهل يورث الغفلة عن الحق وسبيل الهدى والحياد عنه، والغفلة من أخطر الامور التي حذر منها الباري تعالى بقوله: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)[٥]. فالغافلون هم الذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وحادّوا الله واولياءه فطُبع على قلوبهم فلا يهتدون الى الخير (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[٦]. فالعالم كل العالم هو الذي ينفعه علمه للوصول الى الله تعالى ومعرفة الحجج عليهم السلام والاقتداء بهم والاهتداء بهداهم ليخرج الإنسان بذلك عن مصاف الجاهلين الغافلين.

اهمية علم الفقه

إن للعلوم الأخرى غير الفقه أهمية بالغة حتى يصل بعضها الى الوجوب الكفائي بل العيني نتيجة لتوقف النظام المعيشي العام عليها كالطب وبعض الصناعات والتجارات التي تمس الحياة البشرية الى درجة لا يمكن الاستغناء عنها، وقد حث الشارع الأقدس على مزاولة تلك العلوم وجعل بعضها محط البركة والاستغناء عن الناس، إلا أن من بين تلك العلوم يحظى الفقه على ميزة عليا بل هو اسماها فربما يتصور البعض ولأول وهلة أن هذا الأمر مبالغ فيه ولكنه عند الاطلاع على الروايات الشريفة تنكشف لك الصورة بوضوح لحقيقة الأمر، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((سارعوا في طلب العلم، فو الذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة)).
وعنه عليه السلام أيضا قال: (والله لحديث تصيبه من صادق في حلال وحرام خير لك مما طلعت عليه الشمس حتى تغرب))[٧]، وقال ابو جعفر عليه السلام: لو اتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه في دينه لأوجعته[٨].

---

[٥] - الاعراف ١٧٩
[٦] - النحل ١٠٨
[٧] - بحار الانوار-المجلسي-ج٢ص١٤٧
[٨] - مشكاة الانوار-الحسن بن الفضل الطبرسي-ج١ص١٠٢

وعن بعض أصحابنا عن علي بن أسباط عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (ليت السياط على رءوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام).[٩]

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه، واقتبسوه من أهله فإن تعليمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الاخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم، ويهتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، إن العلم حياة القلوب من الجهل. وضياء الأبصار من الظلمة، وقوة، الابدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، العلم إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه.[١٠]

وعند التأمل في الحديث المتقدم عن رسول الله صلى الله عليه وآله والذي يرويه لنا أمير المؤمنين عليه السلام نجد إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يعلل لنا سبب الفضائل والخصال التي يتمتع بها طالب العلم، لان هذا العلم به معالم الحلال والحرام وهو طريق الجنة دار القرار والمبتغى إذ ليس الدنيا إلا معبرا لمن أدرك ووعى.

هذا بالإضافة إلى فائدة مهمة في المقام الا وهي أن العلوم الأخرى وان كانت ضرورية ومهمة لبني البشر من اجل حياتهم الدنيا إلّا أن علم الفقه الذي يتكفل بتبيين معالم الدين و أوامر الله تعالى ونواهيه، وبامتثال طاعة الله تعالى تتحقق الغاية والهدف من الخلق، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[١١]. وبالعبودية لله تعالى تستقيم الدنيا والآخرة وصلاح الدنيا يكمن بأتباع أوامر الله تعالى وتجنب نواهيه، وذلك يبتعد الإنسان عن كل موجبات الفساد والإفساد فلا تلف للنفوس بعد أن حرمها الشرع الأقدس ولا تلف للأموال بعد تحريم الغش ونقصان الكيل وحرمة الربا وهلم جرا مع بقية أحكام المولى تعالى، وبذلك

[٩] - المحاسن-احمد بن محمد بن خالد البرقي
[١٠] - بحار الانوار-المجلسي-ج١ص١٧١
[١١] - الذاريات ٥٦

نخلق الإنسان المستقيم الذي يرفد الدنيا بعلم فيه الصلاح والسعادة اذ الكثير من العلماء استخدموا علمهم من اجل ابادة وهلاك البشرية كما هي الحروب التي ترونها اليوم ومن قبل.

وأما صلاح الآخرة فبعد الزراعة الصحيحة في الدنيا لأنها مزرعة الآخرة تكون قد تهيئت للحصاد الناجح المبارك حيث الجزاء الإلهي والفضل العظيم الذي أعده الله تعالى لمن أطاعه وعبده، وبهذا اتضح لك الأمر بخصوص أهمية علم الفقه الذي يدل الإنسان على طريق الرحمان وطاعته فبه يوجد الإنسان السوي الذي ينتفع به بنو جنسه، وبه الوصول إلى السعادة الأبدية.

والذي نريد أن نصل إليه أن الفقه أساس كل شيء وهو متعلق بكل شيء والى هذا المعنى أشار الفاضل الآبي في كشف الرموز بعد ذكر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي هي السبب في تفضيل هذه الأمة على غيرها بدلاله قوله تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)) [١٢]، قال: إن للفقه مرتبتان ثانيتهما أعلى مقاما.

أحديهما: الفقه الجوارحي: وهو الذي يحتاج أبناء نوع بني آدم إليه في السلوك الظاهري، ويسمى هذا الفقه بالجوارحي، سواء تعلق بالأبدان بجميع أنواعها، واجبة أو غير واجبة، والصوم بجميع أنواعه أو تعلق بالأموال كالزكوات والاخماس وأنواع الكفارات والصدقات أو بهما كالحج والعمرة وعدة من الكفارات. وسواء كان مجعولا لانتظام مجتمع أبناء النوع كالحدود والقصاص والديات وأحكام المعاشرات وأحكام القضاء المجعولة لرفع الخصومات والمشاجرات، بل وأنواع البيوع والإجارات والجعالات أو مجعولة لحفظ النسل والإنتسابات كالنكاح والطلاق واللعان والظهار والايلاءات. أو متعلق بكيفية السلوك مع المخلوقات، سواء كانت من أبناء نوعه حتى أحكام العبيد والإماء كالعتق والتدبير والمكاتبات أم غيرهم في المجالسات والمعاشرات.

ثانيهما: الفقه الجوانحي: وهو الجامع لجميع ما عددناه أمران: (أحدهما) كيفية السلوك مع خالقه وتسمى بالعبادات. (ثانيهما) كيفية السلوك مع غير خالقه حتى مع نفسه وهي غير العبادات من الأنواع المذكورات، وكل ذلك يحتاج إلى الفقه العملي أو العملي، أمرا أو نهيا، والفقه بكلا معنييه بمنزلة المظهر لمسألتي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين صار سببين لكون هذه الامة خير امة اخرجت للناس. ففي كل مرتبة من المراتب المذكورة لو عمل المسلم بها كان آتيا " بهما، ولو ترك كان تاركا " لهما، فالأمر بالمعروف بجميع مراتبه مستلزم للعمل بجميع المندرجات، والنهي عن المنكر بجميع مراتبه لترك أضداد

[١٢] - آل عمران-١٠١

المذكورات. وهما بجميع مراتبهما تتعلقان بفعل المكلف، سواء كان من أفعال الجوارح والاعضاء، أو من أفعال القلب. فأسباب الوصول إلى الكمالات ترجع إلى الفقه، ولذا عرفه غير واحد من أساطين الفن بأنه العلم بالأحكام الشرعية، فكل موضوع له حكم ما من الشرع المقدس فهو فقه، سواء كان تكليفيا أو وضعيا، وسواء كان متعلقا " بنظم الدنيا أو نظم الآخرة، ولذا جعلوا موضوعه أفعال المكلفين.

ومن هنا يظهر السر فيما حكموا به من أنه يجب على غير المجتهد التقليد في الواجبات والمحرمات، والمندوبات والمكروهات، وأضاف جمع بقولهم: بل المباحات والعاديات.[١٣]

وبهذا اتضح لك ان للفقه منزلة كبيرة من بين العلوم بمختلف موضوعاتها بل هو المحور في كل شيء لان به النظام والمنهج الذي شرّعه الباري تعالى لبني البشر لانتظام أمورهم في الدارين.

قال صاحب المعالم: ولما ثبت أن كمال العلم إنما هو بالعمل، تبين أنه ليس في العلوم - بعد المعرفة - أشرف من علم الفقه؛ لان مدخليته في العمل أقوى مما سواه، إذ به تعرف أوامر الله تعالى فتمتثل، ونواهيه فتجتنب، ولان معلومه - أعني: أحكام الله تعالى - أشرف المعلومات، بعد ما ذكر. ومع ذلك، فهو الناظم لأمور المعاش، وبه يتم كمال نوع الانسان.[١٤]

أهمية الفقهاء ومنزلتهم

إن للفقهاء منزلة عظيمة عند الله تعالى فقد جاء في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنه يسخي نفسي في سرعة الموت والقتل فينا قول الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[١٥]. وهو موت العلماء ولا معقب لحكمه، وعنه عليه السلام ايضا: (عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد)[١٦] ليس هذا إلا لان العلم يورث التفكر وقد جاء في الاثر ان تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وان العالم ينتفع بعلمه ويهتدى بأثره بينما العابد فلا ينفع الا نفسه فعبادته خاصة به.

ولهذا فقد رقى العلماء الى مراقٍ عليا ليس من السهل ادراكها فقد روي عن رسول الله عليه السلام بأنه قال: العلماء ورثة الأنبياء، يحبهم أهل السماء، ويستغفر لهم الحيتان في

---

[١٣] - كشف الرموز-الفاضل الآبي-ج١ص٤

[١٤] - معالم الدين وملاذ المجتهدين-ابن الشهيد الثاني-ص٢٧

[١٥] - الرعد ٤١

[١٦] - مستدرك السفينة- النمازي- ج٧ص٣٤٨

البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة. وعنه عليه السلام أيضا (العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي وورثة الأنبياء)[١٧] ، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن جميع دواب الارض لتصلي على طالب العلم حتى الحيتان في البحر)[١٨]فليت شعري ما هذه المرتبة العظيمة والمنزلة الجليلة لطالب العلم فلو تأملنا في حديث واحد لكفانا تأسيا لنتجاوز كل الصعوبات التي توجد في طريق تحصيل العلم والله المستعان.

وهذه الأبيات منسوبة إلى صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف وجدت مكتوبة على قبر الشيخ المفيد رحمه الله عشية دفنه:

لا صوت الناعي بفقدك انه *** يوم على آل الرسول عظيم
ان كنت قد غيبت في جدث الثرى *** فالعلم والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما *** تليت عليك من الدروس علوم

نعم الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه يفرح ببقاء العلماء وتدريسهم وتعليمهم وترويجهم للأحكام، كما انه عليه السلام يحزن بموتهم وارتحالهم وقتلهم وضعفهم لان ضعفهم ضعف الإسلام، وقتلهم سبب لغلبة الأعداء كما تراه، وهذا هو معنى الخبر إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلة لا يسدها شيء، ولذا يبكيه كل شيء وتبكيه السماوات والأرضون أربعين شهرا، قال النبي الأكرم صلى الله عليه واله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا على إذا مات مؤمن تبكيه السماوات والارضون اربعين صباحا، وإذا مات عالم تبكيه السموات والارضون اربعين شهرا وإذا مات إمام تبكيان اربعين سنة).[١٩]

وجاء في الاحتجاج عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه واله: لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله يخضع له خضوعه لله ويعظم به السجود كتعظيمه لله، ولو أمرت أحدا أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم علي وصي رسول الله صلى الله عليه واله، وهناك روايات كثيرة في فضل العلماء وشفاعتهم يوم القيامة لكل من أخذ عنهم وتعلم منهم، ومن أخذ عمن أخذ عنهم إلى يوم القيامة مذكورة في مظانها.[٢٠]

---

[١٧] - ميزان الحكمة-الريشهري-ج٣ص٣٦٤
[١٨] - بحار الانوار-المجلسي-ج١ص١٧٣
[١٩] - شجرة طوبى-محمد مهدي الحائري-ج٢ص٢٣١
[٢٠] - مستدرك السفينه- النمازي -ج٧ص٣٤٦

زينة العلم

العلم وحده لا يكفي فهو سلاح ذو حدين فكم من عالم لم ينتفع من علمه بل يكون وبالا عليه يوم حشره لان الحجة عليه ابلغ و اتم ممن عداه ،ولذ نرى ومن خلال الاطلاع على حديث الإمام العسكري عليه السلام بأن العلم وحده لا يفي بالغرض المنشود بل لابد من التقوى والورع ومجانبة الهوى فقد روي عنه عليه السلام: (مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوامّ أن يُقَلِّدوه) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب شيء يحوط ما احب، وقال اوحى الله إلى داود لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فأولئك قطاع طريق عبادي المريدين ان ادنى ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)[٢١].

وعلى ضوء قراءة روايات اهل البيت عليه السلام نستنتج جملة من الأمور التي يجب على طالب العلم من الالتزام بها:

أولا: طاعة الله تعالى وطلب العون منه سبحانه وتجنب طاعة الهوى والانقياد وراء اللذات الدنيوية الضيقة كالسمعة والوجاهة والمال وغيرها من ملذات الدنيا ويدل على هذا كلام الامام العسكري عليه السلام المتقدم، وكذا وصية الرسول الأعظم صلى الله عليه واله لابن مسعود: من تعلم العلم يريد به الدنيا، وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عليه، وكان في الدرك الأسفل من النار مع اليهود والنصارى، ومن تعلم العلم رياء وسمعة يريد به الدنيا إلا نزع الله بركته، وضيق عليه معيشته، ووكله الله إلى نفسه).

ثانيا: العمل فلا خير في علم لا يعمل به صاحبه وإلا عاد كلاما نظريا لا نفع فيه لان الغاية من العلم هي التطبيق ويدل على هذا الكلام وصية رسول الله صلى الله عليه واله لابن مسعود: (يا بن مسعود من تعلم العلم ولم يعمل بما فيه حشره يوم القيامة أعمى وكذا قول رسول الله صلى الله عليه واله: العلم وديعة الله في أرضه، والعلماء امناؤه عليه، فمن عمل بعلمه أدى أمانته، ومن لم يعمل بعلمه، كتب في ديوان الله من الخائنين[٢٢]، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا)[٢٣].

---

[٢١] - مشكاة الانوار- الطبرسي- ج١ص١٠٨

[٢٢] - مستدرك السفينة- النمازي-ج٧-ص٣٤٦

[٢٣] - بحار الانوار- المجلسي -ج٢ص٣٩

ثالثا: التزين بالحلم والوقار والتواضع والإحسان وبقية مكارم الأخلاق قال الإمام الصادق عليه السلام: (اطلبوا العلم، وتزينوا معه بالحلم والوقار) وعن الإمام علي عليه السلام: خفض الجناح زينة العلم. وعن رسول الله ﷺ: زينة العلم الإحسان. عنه ﷺ: والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم.[٢٤]

رابعا: - إن تكون الغاية من طلب العلم هي التعلم وخدمة الدين وليس لمباهاة العلماء ومباراة السفهاء قال ﷺ: من طلب العلم لأربع دخل النار: ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء.[٢٥] قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ((من تعلم لله عز وجل وعمل لله وعلم لله، دعي في ملكوت السماوات عظيما، وقيل تعلم لله وعمل لله وعلم لله)).[٢٦]

وظيفة طالب العلم ومسؤولياته

إن وظيفة طالب العلم تكمن في بذل نفسه من اجل تحصيل علوم الشريعة المقدسة وإتقانها مزينة بالتقوى وفضائل الأخلاق ومن ثم إيصال معالم الحلال والحرام للناس وتعريفهم بدينهم وتثبيت عقيدتهم وترسيخها في قلوبهم قال الله تعالى ((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))[٢٧] اذن تكمن وظيفة الطالب في تعلم العلم ومن ثم تسخير ما تعلمه لبيان أحكام الله تعالى وترويج الشرع المقدس.

وذكر السيد الخوئي قدس سره في باب التزاحم بين المستحبين ما نصه (وأما المستحبات فيجوز ترك جميعها اجمع أو اتيان أحدهما على حسب اختياره. ولكن يقع الكلام هنا في ترجيح أحدهما على الآخر، فهذا يختلف، فان كان ما يترتب على تحصيله من الفوائد، من ترويج الدين وإحياء شريعة سيد المرسلين ﷺ وإرشاد العوام وهدايتهم الى الدين أهم من الفوائد المترتبة على الكسب، فيرجح طلب العلم على طلب الكسب، كما إذا لم يترتب على كسبه إلّا إعانة فقير واحد أو توسعة على عياله فقط أو زيارة أحد الائمة عليهم السلام. وان كان ما يترتب على كسبه أهم مما يترتب على طلب العلم فالأمر بالعكس، كما إذا كان المترتب عليه تعمير المدارس والمساجد والمشاهد واتمامه الحوزة العلمية، وتأمين معاش اهل العلم

---

[٢٤] - ميزان الحكمة- الريشهري-ج٣ص٤٣٧
[٢٥] - بحار الانوار- المجلسي- ج٢ص٢٨
[٢٦] - أمالي الطوسي- ص٥١
[٢٧] - التوبة ١٢٢

وقواد الدين، ودفع الكرب عن فقراء الإسلام، ولكن لا يترتب على طلبة العلم الا تعليم جاهل واحد مسألة واحدة، بحيث لو لم يتعلمه ليتعلم من غيره.[٢٨]

وعليه فأن طالب العلم وظيفته بيان الأحكام وترويج الدين، وهذا الأمر على مراتب شتى: الأولى: أن يصل الى مرتبة الاجتهاد والقدرة على استنباط الأحكام الشريعة من مداركها.

الثانية: أن يكون استاذا في الحوزة العلمية يقوم بتدريس العلوم الآلية كالنحو والمنطق والعلوم الدخيلة في عملية الاستنباط الفقهي.

الثالثة: أن يكون باحثا مقتدرا يرفد العلم بمؤلفات قيمة وتحقيقات دقيقة.

الرابعة: أن يكون خطيبا ناجحا متزنا يستطيع التعامل مع الناس بنجاح ويعرف بأي شيء يتكلم ومتى يتكلم ومتى يصمت.

الخامسة: أن يكون إماما في مسجد أو وكيلا أو معتمدا للمرجعية يقوم بقضاء حوائج الناس وخدمة أيتام آل محمد ﷺ

وقد يتأتى لبعض الطلبة لأن يكون مجتهدا وأستاذا وخطيبا وباحثا، وعلى الطالب أن يبذل نفسه ووسعه من اجل أن يصل إلى ما يمكن أن يؤدي به وظيفته وبأكمل وجه والقبول عند الله تعالى فكم من طالب بسيط يحشره الله تعالى فقهيا عالما فلا نتستخف بما نقوم به فأنه بعين الله ورعايته إذا أخلصنا النية له تعالى في خدمة وترويج شريعته المقدسة.

وان الباري سبحانه وتعالى ادخر لهذا الدين رجالا اخذوا على عاتقهم بيان احكام الله ونشرها وبذلها لاهلها وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس وتحملوا المصائب الجسام من اجل الحفاظ على معالم الدين وكيانه، ووردت روايات شريفة عن اهل بيت العصمة في بيان فضل هؤلاء وعلو مقامهم فعن جميل بن دراج قال: سمعت ابا عبد الله ﷺ يقول: بشر المخبتين بالجنة، بريد بن معاوية العجلي، وابو بصير ليث بن البختري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة أربعة نجباء، أمناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست.

وعن جعفر بن محمد بن معروف، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن ابان بن تغلب، عن ابي بصير، ان ابا عبد الله ﷺ قال له في حديث: لولا زرارة ونظراؤه لظننت أن أحاديث أبي ﷺ ستذهب.[٢٩]

---

[٢٨] - مصباح الفقاهة-السيد الخوئي-ج٣ص١٤٦

[٢٩] - الفصول المهمة-الحر العاملي-ج٢ص١٣٧

نعم لقد كانوا أمناء نجباء وتحملوا ما تحملوا في سبيل رعاية الدين و إيصال الأحكام الشريعة الى الناس وتبعهم في ذلك غيرهم من أساطين المذهب، وعليه فأن وظيفة طالب العلم هي ان يوطن نفسه من اجل العلم والتعلم ليوصل احكام الشرع ويبينها للناس وهذه هي وظيفة الانبياء و اوصيائهم فالعلماء هم ورثة الانبياء ولا يمكن لطالب العلم من ان يصل الى غايته وتحقيق مراده الاسمى ما لم يتحلى بالتقوى والورع ويبذل كل طاقته وجهده حتى ينال الشرف الأسمى عند الله تبارك وتعالى والحذر كل الحذر من ان نكون مثل هؤلاء الذين قال فيهم الباري تعالى (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)[٣٠] فأن السعيد كل السعيد من وفقه الله تعالى لان يكون خادما لهذا الدين العظيم فان راية الهدى سائره الى يوم القيامة وهذا الامر مما لا ريب فيه ولكن الموفق والسعيد من جعله الله تعالى سببا لسير راية الهدى ،فأننا ان كفرنا بهذه النعمة ولم نعر لها اية اهمية فأن المولى جل شأنه وكل بها اناس ليسوا بها كافرين ولا مستهينين قال الله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)[٣١]

نبذة مختصرة عن المدارس الفقهية الشيعية

تتميز مدرسة الفقه الشيعية عن غيرها من المدارس بقوه التفكير واسسه الرصينة وليس ذلك إلا بسبب ارتباط هذه المدرسة بأهل بيت العصمة ومعدن العلم وأهل الذكر عليهم السلام وقد بقت هذه المدرسة تستقي من مصدر التشريع إلى حوالي ثلاثمائة سنة لرجوعها إلى أهل البيت عليهم السلام بينما انقطعت المدارس الأخرى عن مصدر التشريع بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله اذ لم يرجعوا الى الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بل شذت بهم المذاهب والأهواء فأتبعوا برأيهم الصحابة وقالوا بأنهم كالنجوم بأيهم إقتديتهم اهتديتم ، وقد حارب بعض الصحابة بعضا وقتل بعضهم بعضا وكفر بعضهم بعضا فكيف اللجوء اليهم بعد هذا وقد قالها امير المؤمنين عليه السلام (مَا اِخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلاَّ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلاَلَةً)[٣٢]، هذا وقد علمنا بأن الحكم الواقعي واحد عند الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل برأي من اجتهد كما عليه المصوبة وقد حُقق في محله فساد قولهم.

---

٣٠ - مريم ٥٩
٣١ - الانعام ٨٩-٩٠
٣٢ - نهج البلاغة

واليك استعراضا موجزا لمدارس الفقه الشيعية:

١- مدرسة المدينة المنورة:

وابتدأت هذه المدرسة من هجرة رسول الله ﷺ واستمرت إلى أواسط القرن الثاني (حياة الامام الصادق عليه السلام) وهذا العصر هو عصر الصحابة النجباء والتابعين لهم بإحسان، والمدينة المنورة كانت هي المنطلق الأول للرسالة الإسلامية، فلا غرو إذا كانت (المدرسة الأولى للفقه الإسلامي). وكانت المدينة المنورة الوطن الأول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فكان من فقهاء الصحابة بعد الإمام أمير المؤمنين والزهراء والحسنين عليهم السلام وهم الذين تولى رسول الله ﷺ تربيتهم وتعليمهم امثال سلمان الفارسي، وابي ذر الغفاري وأبي رافع ابراهيم مولى رسول الله.

قال النجاشي: أسلم ابو رافع قديما بمكة وهاجر إلى المدينة وشهد مع النبي مشاهده، ولزم امير المؤمنين من بعده، وكان من خيار الشيعة، ولأبي رافع (كتاب السنن والاحكام والقضاء).[٣٣] وكان من التابعين جمع كثير من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حفظوا (السنة النبوية)، وتداولوها فيما بينهم، ونقلوها إلى الأجيال التي تليهم بأمانة، حتى قال (الذهبي) في ميزان الاعتدال: فهذا - أي التشيع - كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين، والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء - أي الشيعة - لذهبت جملة الآثار النبوية ،[٣٤]وذلك لان عمر منع من تدوين الحديث لأسباب معروفة فلم يتفق لمحدثي غير الشيعة من الصحابة والتابعين تدوين السنة النبوية قبل هذا الوقت.. ولكن فقهاء الشيعة دونوا عدة مدونات حديثية مهمة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من صنف في الفقه، ودون الحديث النبوي، ولم يوافق عمر على رأيه.

قال ابن كثير: كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، واباحتها طائفة وفعلوها: منهم: علي وابنه الحسن،[٣٥] فكتب (الجامعة) وهي من

---

[٣٣] - راجع موسوعة اصحاب الفقهاء-موسسة الامام الصادق(ع)-ج١ص١٦

[٣٤] - فلقائل إن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والاتقان؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة؟ وجوابه أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة/ميزان الاعتدال-الذهبي-ج١ص٥

[٣٥] - قد ورد في صحيح مسلم عن أبي سعيد مرفوعاً: " من كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه
قال ابن الصلاح: وممن روينا عنه كراهة ذلك: عمر، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبو موسى، وأبو سعيد، في جماعة آخرين من الصحابة والتابعين.

إملاء رسول الله ﷺ وخط علي عليه السلام،[٣٦] كان يبلغ سبعين ذراعا، وقد تواتر نقله في أحاديث الائمة من أهل البيت عليهم السلام، وكان لسلمان مدونة في الحديث كما يقول ابن شهر آشوب. وعلي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كان من فقهاء الشيعة وخواص أمير المؤمنين عليه السلام.

قال النجاشي: وهو تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين، وكان كاتبا له، وحفظ كثيرا، وجمع كتابا في فنون الفقه كالوضوء والصلاة، وسائر الابواب وكانوا يعظمون هذا الكتاب.[٣٧]

٢- مدرسة الكوفة: وفي أخر حياة الامام الصادق عليه السلام انتقلت مدرسه الفقه الشيعية من المدينة المنورة إلى الكوفة، وبذلك بدأت حياة فقهية جديدة في الكوفة. وكانت الكوفة حين ذاك مركزا صناعيا، وفكريا كبيرا تقصده البعثات العلمية، والتجارية.

ذكر البلاذري أن أربعة الآف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة، وقد أثر وفود العناصر المختلفة إلى الكوفة طلبا للعلم، أو التجارة في التلاقح العقلي والذهني في هذه المدرسة، كما كان لها الاثر البالغ في تطوير الدراسات العقلية فيها.

وقد هاجر اليها فوق ذلك وفود: من الصحابة والتابعين، والفقهاء وأعيان المسلمين: من مختلف الامصار وبذلك كانت الكوفة حين انتقل إليها الامام الصادق عليه السلام وانتقلت اليها مدرسة الفقه الشيعي من أكبر العواصم الاسلامية.

وقد عد البراقي في تاريخ الكوفة ١٤٨ صحابيا من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقروا فيها، ما عدا التابعين والفقهاء الذين انتقلوا إلى هذه المدينة، والذين كان يبلغ عددهم الآلاف، وما عدا الاسر العلمية التي كانت تسكن هذا القطر.

في مثل هذا الوقت انتقل الامام الصادق عليه السلام إلى الكوفة أيام أبي العباس السفاح واستمر بقاؤه عليه السلام في الكوفة مدة سنتين.

وقد اشتغل الامام الصادق عليه السلام هذه الفترة بالخصوص في نشر المذهب الشيعي، لعدم وجود معارضة سياسية قوية في البين فقد سقطت في هذه الفترة الحكومة الاموية وظهرت

قال: وممن روينا عنه إباحة ذلك أو فعله: علي، وابنه الحسن، وأنس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، في جمع من الصحابة والتابعين/ قلت ": وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " اكتبوا لأبي شاه/الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث-ابن كثير-كتابة الحديث وضبطه-ج١ص١٧

[٣٦] - بحار الانوار-المجلسي-ج٤٧ص٢٧١

[٣٧] - النجاشي- ترجمة ابي رافع مولى رسول الله-ص-ج١

الحكومة العباسية، وبين هذا السقوط، وهذا الظهور اغتنم الإمام ﷺ الفرصة للدعوة إلى المذهب، ونشر أصول هذه المدرسة، فازدلفت إليه الشيعة من كل فج زرافات ووحدانا تستقي منه العلم، وترتوي من منهله العذب.

وكان من بين أصحابه ﷺ من فقهاء الكوفة: (أبان بن تغلب بن رباح الكوفي) وقدروى عنه عليه السلام (٣٠٠٠٠) و(محمد بن مسلم الكوفي) روى عن (الباقرين) عليهما السلام (٤٠٠٠٠) حديثا، وقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي كتابا في أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن (الامام الصادق) عليه السلام فذكر ترجمة (٤٠٠٠) رجل.
كل ذلك بالاضافة إلى البيوتات العلمية الكوفية التي عرفت بانتسابها إلى (الامام الصادق) عليه السلام، واشتهرت بالفقه والحديث كبيت (آل أعين)، وبيت (آل حيان التغلبي، وبيت (بني عطية).

٣- مدرسة قم والري: يبتدئ عصر هذه المدرسة من الغيبة الكبرى، والربع الاول من القرن الرابع إلى النصف الاول من القرن الخامس. ففي هذا الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة، والبحث إلى مدينتي (قم والري) وظهر في هذا الفترة شيوخ كبار من (اساتذة الفقه الشيعي) في مدينتي (قم والري) كان لهم أكبر الاثر في تطوير (الفقه الشيعي) فقد كانت (قم) منذ ايام (الائمة) عليهم السلام بلدة شيعية، ومدينة كبيرة من امهات المدن الشيعية، وكانت خصنا من (حصون الشيعة) وعشا لآل محمد ﷺ، وموضع عناية خاصة من اهل البيت ﷺ. إن البلايا مدفوعة عن قم واهلها. وسيأتي زمان تكون بلدة (قم) وأهلها حجة على الخلائق، وذلك في زمان غيبة (قائمنا) إلى ظهوره عجل الله تعالى فرجه، ولولا ذلك لساخت الارض بأهلها.

روى عن أمير المؤمنين ﷺ: أنه قال " سلام الله على أهل (قم) ورحمة الله على أهل قم، سقى الله بلادهم الغيث، وتنزل عليهم البركات فيبدل سيئاتهم حسنات، هم أهل ركوع وخشوع وسجود، وقيام وصيام، هم الفقهاء العلماء، هم أهل الدين والولاية والعبادة، وحسن العبادة.[٣٨]

---

[٣٨] - عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إن لعلى قم ملكا رفرف عليها بجناحيه لا يريدها جبار بسوء إلا أذابه الله كذوب الملح في الماء. ثم أشار إلى عيسى بن عبد الله فقال: سلام الله على أهل قم، يسقي الله بلادهم الغيث، وينزل الله عليهم البركات، ويبدل الله سيئاتهم حسنات، هم أهل ركوع وسجود وقيام وقعود، هم الفقهاء العلماء الفهماء، هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة.
* وقال أبو عبد الله الفقيه الهمداني في كتاب البلدان: إن أبا موسى الاشعري روى أنه سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقال: أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل، فإذا اضطربت خراسان ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان وخربت سجستان فأسلم المواضع يومئذ قصبة قم تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أبا واما وجدا وجدة وعما وعمة تلك التي تسمى الزهراء. بها موضع قدم

وكانت الري في هذا التاريخ بلدة عامرة بالمدارس والمكاتب. وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدثين. وقد كان أحد اسباب انتقال مدرسة أهل البيت من العراق إلى إيران هو الضغط الشديد الذي كان يلاقيه فقهاء الشيعة وعلماؤهم من العباسيين، فقد كانوا يطاردون من يظهر باسم الشيعة بمختلف ألوان الاذى والتهمة. فالتجأ فقهاء الشيعة وعلماؤها إلى قم والري، ووجدوا في هاتين البلدتين ركنا آمنا يطمئنون إليه لنشر فقه أهل البيت عليهم السلام وحديثهم، ويظهر أن قم أوان عصر الغيبة، وعهد نيابة النواب الاربعة وكانت حافلة بعلماء الشيعة وفقهائها، ومركزا فقهيا كبيرا من مراكز البحث الفقهي.

فعن الشيخ في كتاب الغيبة: أنفذ الشيخ حسين بن روح رضي الله تعالى عنه كتاب التأديب إلى قم، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها وقال لهم: انظروا ما في هذا الكتاب، وانظروا فيه شيء يخالفكم.[٣٩]

وكانت قم والري تحت حكومة سلاطين آل بويه وعرف آل بويه في التاريخ بنزعتهم الشيعية وولائهم.

ويكفي للدلالة على ضخامة مدرسة قم في هذا العصر أن تذكر ما نقله العلامة الحلي رحمه الله في شرحه على (من لا يحضره الفقيه) حيث قال: إن في زمان (علي بن الحسين بن موسى بن بابويه) كان في قم من المحدثين مائتا ألف رجل.

٤- مدرسة بغداد:

ففي القرن الخامس الهجري انتقلت المدرسة من قم والري إلى بغداد حاضرة العالم الإسلامي عامة، وكان لهذا الانتقال أسباب عديدة:

الاول: ضعف جهاز الحكم العباسي، حيث ضعفت سيطرتهم في هذه القترة، ودب الانحلال في كيان الجهاز، فلم يجد الجهاز القوة الكافية لملاحقة الشيعة والضغط عليهم، كما كان المنصور والرشيد والمتوكل والمعتصم وأضرابهم من الخلفاء العباسيين فوجد فقهاء الشيعة مجالا للظهور ونشر الفقه الشيعي، وممارسة البحث الفقهي بصورة علنية.

جبرئيل، وهو الموضع الذي نبع منه الماء الذي من شرب منه أمن من الداء، ومن ذلك الماء عجن الطين الذي عمل منه كهيئة الطير، ومنه يغتسل الرضا عليه السلام، ومن ذلك الموضع يخرج كبش إبراهيم وعصا موسى وخاتم سليمان.
ومن روايات الشيعة في فضل قم وأهلها ما رواه الحسن بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه بأسانيد ذكرها عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن رجلا دخل عليه فقال: يا ابن رسول الله إني اريد أن أسألك عن مسألة لم يسألك أحد قبلي ولا يسألك أحد بعدي! فقال: عساك تسألني عن الحشر والنشر؟ فقال الرجل: إي والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا ما أسألك إلا عنه. فقال: محشر الناس كلهم إلى بيت المقدس إلا بقعة بأرض الجبل يقال لها قم، فإنهم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنة. ثم قال: أهل قم مغفور لهم. /بحار الانوار-المجلسي-ج٥٧ص٢٧١

[٣٩] -الغيبة-الطوسي-ج١ص٤٠٠

الثاني: ظهور شخصيات فقهية من بيوتات كبيرة. كالشيخ المفيد والسيد المرتضى فقد كان هؤلاء يستغلون مكانة بيوتهم الاجتماعية، ومكاناتهم السياسية في نشر الفقه الشيعي وتطوير دراسة الفقه.

الثالث: توسع المدرسة وتضخمها مما أدى إلى احتلال (بغداد حاضرة العالم الإسلامي) في ذلك الوقت، وقد كانت هذه البيئة الجديدة صالحة لتقبل هذه المدرسة، وتطويرها وخدمتها.

فهي مركز ثقافي كبير من مراكز الحركة العقلية في العالم الإسلامي يقطنها الآلاف من الفقهاء والمحدثين، وتنشر في آلاف المدارس والمكاتب والمساجد التي كان يحتشد فيها جماهير الطلاب والمدرسين والعلماء كل يوم للدرس والمطالعة، والبحث والمناقشة، فكان لانتقال المدرسة إلى هذا الجو الفكري على يد علماء كبار أمثال (المفيد والمرتضى والطوسي) أثر كبير في الحركة الفكرية القائمة في حينه، فقد تكاملت مدرسة الفقه الشيعي في قم والري وتأصلت، وظهرت ملامح الاستقلال عليها وتبلورت أصولها وقواعدها في بغداد. ورغم كثرة مدارس البحث الفقهي في بغداد في ذلك الحين فقد كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام أوسعها وأضخمها وأعمقها جذورا واصولا وأكثرها تأصلا واستعدادا، وأقومها في الاستدلال والاحتجاج.

وكل ذلك كان يبعث طلاب الفقه على الالتفاف حول هذه المدرسة أكثر من غيرها. فقد كان يحضر درس الشيخ الطوسي حوالي ثلاثمائة مجتهد من الشيعة ومن العامة ما لا يُحصى.

٥- مدرسة النجف الاشرف:

انتقل الشيخ الطوسي رحمه الله إلى النجف الأشرف سنة ٤٤٨هـ حينما كبس على داره وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام كما يقول ابن الجوزي. وظل بالنجف يمارس مهمته في زعامة الشيعة والتدريس والتأليف وتطوير مناهج الدراسة الفقهية اثني عشر سنة حتى أن آثره الله لدار لقائه في محرم سنة ٤٦٠ عن خمس وسبعين سنة. ومهما كان من أمر فقد اتيح للشيخ الطوسي أن يبلغ بالمدرسة التي فتح أبوابها أستاذه (المفيد والمرتضى) إلى القمة، ويفرض وجودها على الاجواء الثقافية في بغداد وفي العراق عامة حتى أن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر بالله جعل له كرسي الافادة والبحث، ونصبه لهذا المكان الرفيع، وكان لكرسي الإفادة والكلام مقام كبير يومذاك في بغداد، وهذا يعني أن الشيخ فرض وجود المدرسة رغم ميول الجهاز المعادية، ورغم معارضات المذاهب الكلامية والفقهية الأخرى على أجواء العراق الثقافية.

وقدر له لأول مرة أن يفتح باب الاجتهاد المطلق، والنظر والرأي على مصراعيه واسعا، وأن ينظم مناهج الاستنباط والاجتهاد، ويأصل الاصول، ويضع مناهج البحث للأصول، ويفرع المسائل، ويضع أصول الدراسة والخلافية في الفقه، وعشرات من أمثالها مما أسدى الشيخ الطوسي إلى المدرسة الفقهية من الخدمات. وقد ذكر العلامة الجليل الشيخ آغا بزرك اسم (سبع وأربعين مؤلفا) للشيخ مما وصل اليه من أسماء مصنفاته.

***ملامح المدرسة**

ومما تقدم تبين أن مدرسة بغداد كانت فتحا جديدا في عالم البحث الفقهي بصورة عامة، فقد كان البحث الفقهي - كما استعرضنا ملامحه بإجمال - في مدارس المدينة والكوفة وقم لا يخرج عن حدود استعراض السنة، ونقل الحديث، ولم يبلغ رغم تطور المدرسة في عهودها الثلاثة مرحلة الرأي والاجتهاد.

ولم نلمس في هذه العهود الثلاثة ملامح عن الصياغة الفقهية والصناعة فيما بين أيدينا من آثار عصور الفقه الثلاثة الاولى بشكل ملموس واضح الملامح.

ولأول مرة يلمس الباحث آثار الصناعة والصياغة الفنية، والاجتهاد والرأي والتفريغ في كتابات هذا العصر، ولا سيما كتب المرتضى الاصولية وكتب الشيخ الفقهية والاصولية. ولو حاول الباحث أن يدمج العصور الاولى بعضها في بعض، ويعتبر هذه الفترة فاتحة عصر ثان، ومدرسة جديدة في الفقه لم يبتعد كثيرا عن الصواب.

ومهما يكن من أمر فلنحاول أن ندرس ملامح هذه المدرسة مرة أخرى، ليتاح لنا أن نقيس بدقة أبعاد هذه المدرسة، ونضع لها حدودا تفضلها عن المدارس السابقة عليها، واللاحقة لها:

١ - وأولى هذه الملامح: أن الفقه خرج في هذا الدور عن الاقتصار على استعراض نصوص الكتاب، وما صح من السنة إلى معالجة النصوص، واستخدام الاصول والقواعد، فقد كانت مهمة البحث الفقهي في الأدوار السابقة عرض النصوص، وفهمها وتذوقها. ولأمر ما يطلق على هذا العلم اسم الفقه، فالفقه هو الفهم ومهمة الفقيه قبل هذه المرحلة ما كانت تتجاوز في الأعم الأغلب فهم النصوص الصحيحة وتذوقها.

وفي هذه المرحلة انقلبت عملية الاستنباط إلى صناعة عملية لها اصولها وقواعدها، وانفصل البحث الاصولي عن البحث الفقهي وأفرد بدراسات ومطالعات خاصة، وقام البحث الفقهي على نتائج هذه الدراسات والمطالعات، ولأول مرة في تاريخ الفقه الجعفري يلمح الباحث ملامح الصناعة في كتابات الشيخ الطوسي الفقهية، وطبيعي أن الصناعة

الفقهية في هذه الفترة كانت تطوي مراحلها البدائية، ولكنه مع ذلك كانت بداية لعهد جديد، وخاتمة لعهد مضى. ولأول مرة في هذا الدور قام السيد المرتضى بمحاولة دراسة المسائل الاصولية مفصولة عن الفقه بصورة موضوعية، وتنقيح المسائل الاصولية في كتب ودراسات مستقلة، إلا أنها كانت مع ذلك بدائية ولم تتجاوز في غالب الأحوال مباحث الألفاظ: من الأوامر والنواهي ودلالات هيئات الالفاظ وموادها.

٢ - وظاهرة أخرى من ملامح هذا العصر هو تفريع المسائل الفقهية واستحداث فروع جديدة لم تتعرض لها نصوص الروايات وكان هذا واضحا في كتاب المبسوط للشيخ الطوسي ﵀ وكذا جهده بشكل خاص لدراسة الفقه المقارن في كتابه الكبير (الخلاف) وبشكل موسع تناول فيه المسائل الفقهية الشيعة والسنة في مختلف أبواب الفقه، وتعرض في كل مسألة لما يسند الجانبين من الأدلة، وناقش آراء المذاهب الأخرى في كثير من المسائل. والكتاب - رغم قدمه - قيم لا يستغني عنه باحث فقيه. وكان من هذا القبيل استعراض المسائل التي تنفرد فيها الشيعة برأي والاستدلال له وانتصاره.

٦- مدرسة الحلة:

برزت (مدرسة الحلة الفقهية) بعد احتلال بغداد على يد هولاكو التتار، فقد كانت مدرسة بغداد قبل الاحتلال حافلة بالفقهاء والباحثين وحلقات الدراسة الواسعة، وكان النشاط الفكري فيما قبل الاحتلال على قدم وساق.

وحينما إحُتلت بغداد من قبل المغول أوفد أهل الحلة وفدا إلى قيادة الجيش المغولي يلتمسون الأمان لبلدهم، فاستجاب لهم هولاكو وآمنهم على بلدهم بعد إن اختبر صدقهم.

وبذلك ظلت الحلة مأمونة من النكبة التي حلت بسائر البلاد في محنة الاحتلال المغولي، وأخذت تستقطب الشاردين من بغداد من الطلاب والأساتذة والفقهاء.

واجتمع في الحلة عدد كبير من الطلاب والعلماء، وانتقل معهم النشاط العلمي من بغداد إلى الحلة، واحتفلت هذه البلدة وهي يومئذ من الحواضر الإسلامية الكبرى بما كانت تحتفل به بغداد من وجوه النشاط الفكري: ندوات البحث والجدل، وحلقات الدراسة والمكاتب والمدارس، وغيرها. واستقرت المدرسة في الحلة.

وظهر في هذا الدور في الحلة فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير في تطوير مناهج الفقه والأصول الإمامي، وتجديد صياغة عملية الاجتهاد، وتنظيم أبواب الفقه كالمحقق الحلي والعلامة الحلي وولده فخر المحققين وابن أبي الفوارس والشهيد الاول وابن طاوس وابن ورام)، وغيرهم من فطاحل الاعلام ورجال الفكر.

٧- مدرسة كربلاء المقدسة:

كانت في كربلاء مدرسة فقهية محدودة قبل القرن الثالث عشر بموازاة مدرسة الحلة ومدرسة جبل عامل ومدرسة اصفهان، وكان في هذه المدرسة فقهاء وعلماء كبار من أمثال: السيد فخار بن معد الحائري من أعلام الفقه والأدب والأنساب في القرن السابع الهجري، والسيد جلال عبد الحميد بن فخار بن معد الموسوي من شيوخ الرواية، والشيخ معد بن الخازن الحائري من أعلام تلاميذ الشهيد الاول ومن رجال الفقه والادب، وغيرهم من الاجلاء، الا أن هذه المدينة شهدت في القرن الثاني عشر والثالث عشر نشاطا فقهيا واسعا وزخرت بفقهاء كبار من أمثال: الشيخ يوسف صاحب " الحدائق الناضرة، والوحيد البهبهاني، والسيد مهدي بحر العلوم، والمولى محمد مهدي النراقي صاحب مستند الشيعة، والسيد مهدي الشهرستاني، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والسيد محمد المجاهد الطباطبائي، والشيخ شريف العلماء، والشيخ محمد حسين الاصفهاني صاحب الفصول، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، والمولى محمد صالح البرغاني، وغيرهم. ويبدو أن مدرسة كربلاء بدأت تتسع في النكبة التي أصابت اصفهان في فتنة محمود الافغاني، وأخذت تستقطب طلبة العلم والفقهاء والعلماء والمدرسين.

صاحب الحدائق:

ومن أبرز الأسماء التي تلمع في تاريخ هذه المدرسة في هذه الفترة بالذات وفي بدئيات نشاطها الفكري والفقهي اسم الشيخ يوسف البحراني مؤلف الموسوعة الفقهية القيمة والجليلة الموسومة ب (الحدائق الناضرة) حيث حل بكربلاء بحدود عام ١١٦٩ هـ فحف به طلاب العلم وارتشفوا من نمير علمه العذب وتسلم في كربلاء زعامة التدريس والزعامة الدينية، ولبث في هذه المدينة قرابة عشرين عاما حتى وافاه الاجل فيها.

وكان الشيخ يوسف يحمل الاتجاه الأخباري في طريقة استنباط الحكم الشرعي، وكانت هذه الطريقة يومئذ هي الطريقة المعروفة في أوساط المدارس الفقهية للشيعة الإمامية، وكان الشيخ يوسف البحراني من أقطاب وزعماء هذه المدرسة، وكانت البحرين قاعدة ومنطلقا للاتجاه الاخباري في الفقه، فلما تعرضت للغزو وتشرد أهلها انتشر فقهاؤها في الارض، واحتضنت كربلاء بعضهم، وكان الشيخ يوسف من هؤلاء الذين لجأوا إلى هذه المدينة المقدسة ليواصلوا عملهم العلمي هناك، ونشط الشيخ يوسف في كربلاء وواصل عمله العلمي على صعيدي التأليف والتدريس بالإضافة إلى الزعامة الدينية التي انفرد بها في هذه المدينة المقدسة، وتخرج على يده خلال هذه المدة عدد من كبار الفقهاء أمثال: أبي علي الحائري مؤلف منتهى المقال ، والمحقق الميرزا القمي مؤلف القوانين، والشيخ حسين

بن محمد بن حسين مؤلف عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة، والسيد علي الطباطبائي الحائري مؤلف الرياض، والسيد مهدي بحر العلرم الفقيه الشهير مؤلف الفوائد الرجالية والمولى أحمد النراقي مؤلف مستند الشيعة، والسيد ميرزا الشهرستاني، والسيد ميرزا مهدي بن هداية الله الاصفهاني الخراساني الشهيد. وأكمل خلال هذه الفتره تأليف الحدائق الناضرة إلى كتاب الظهار وأئمة من بعد ابن أخيه الشيخ حسين.

ومن أهم ما كتبه خلال هذه الفترة الدرة النجفية، ويبدو أنه كتبه في مدينة النجف خلال زياراته لها، و سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد، و الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب، و الكشكول، و لؤلؤة البحرين، ومجموعة اخرى من الكتب في الفقه واصول العقائد والحديث. وكان اتجاه الشيخ يوسف بدء الامر هو الاتجاه الاخباري المعروف الذي انتشر أكثر ما انتشر في البحرين، وكان الشيخ يوسف رحمه الله يحمل هذا الاتجاه، فلما أن استقر به المقام في كربلاء أخذ يؤلف ويدرس بنفس الاتجاه حتى نزل بكربلاء الشيخ محمد باقر الوحيد البهبهاني وكان نزول الوحيد البهبهاني بهذه المدينة إيذانا بمرحلة جديدة في الاتجاه الفقهي في مدرسة كربلاء.

وبدأ الوحيد عمله الفقهي بالدعوة إلى الاتجاه الأصولي والاجتهاد ومواجهة المدرسة الأخبارية، ونجح الوحيد في رسالته العلمية وأبرز الاتجاه الأصولي واستقطب خيرة تلامذة الشيخ يوسف البحراني وجمعهم حوله، وانحسرت الحركة الأخبارية وانزوت ولم تستعد نشاطها بعد ذلك التاريخ. وكانت مدرسة كربلاء في هذا العصر القرن الحادي عشر والثاني عشر ساحة هذا الصراع الفقهي بين المدرستين الذي انتهى إلى بروز المدرسة الأصولية وانحسار المدرسة الاخبارية. ولا بد أن نذكر في تاريخ هذا الصراع أن الشيخ يوسف مؤلف الحدائق " بدأ يحس بأن تعمق هذه الفجوة بين المدرستين داخل المدرسة الفقهية الامامية وتوسيع رقعة الخلاف لا يعود على التشيع بغير الخلاف والإضعاف، والمسألة من حيث الاساس لا تستحق كل هذا الاهتمام، ولا يجوز شق فقه أهل البيت إلى مدرستين متصارعتين حول هذه المسألة، وان الامين الاسترآبادي قد غالى كثيرا وأفرط في تعميق الخلاف والتهجم على فقهاء الشيعة الذين لم يكونوا على رأيه ومذهبه من أمثال العلامة الحلي رحمه الله، وليس كل ما قاله الاخباريون حق، وليس كل ما قاله الاصوليون في محاور الخلاف باطل. وأحس الشيخ يوسف من هذا المنطلق بمسؤولية شرعية من تضييق رقعة الخلاف وإزالة الحواجز التي اقيمت داخل هذه المدرسة بين هاتين الفئتين، فبدأ يعمل بموجب هذا الوعي وهذه المسؤولية التي أحس بثقلها على كاهله لتضييق شقة الخلاف وازالة الحواجز ونقد التطرف الاخباري في الموقف تجاه المدرسة الاصولية والمجتهدين، وبدأ رحمه الله يميل

إلى مدرسة الاصوليين بشكل أو بآخر. فتأمل فيما قاله رحمه الله في المقدمة الثانية عشر من مقدمات الحدائق يقول: وقد كنت في أول الامر أنتصر لمذهب الاخباريين وقد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، إلا أن الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقه في المقام وإمعان النظر في كلام علمائنا الاعلام هو اغماض النظر عن هذا الباب وارخاء الستر دونه والحجاب، وان كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والابرام.

أما (أولا) فلستلزامه القدح في علماء الطرفين... وأما (ثانيا) فلان ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جله بل كله عند التأمل لا يثمر فرقا... وأما (ثالثا) فلان العصر الاول كان مملوء من المحدثين والمجتهدين، مع أنه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف، ولم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الاوصاف... ولم يرتفع صيت هذا الخلاف ولا وقوع هذا الاعتساف إلا من زمن صاحب الفوائد المدنية الأسترابادي سامحه الله تعالى برحمته المرضية، فإنه قد جرد لسان التشنيع على الأصحاب، وأسهب في ذلك أي إسهاب وأكثر من التعصبات التي لا تليق بمثله من العلماء الأطياب .[٤٠]

والحقيقة إن هذا الموقف الذي وقفه الشيخ يوسف من هذا الصراع كان له تأثير بالغ الأهمية في إعادة الانسجام إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام وازالة التطرف الذي أصاب هذه المدرسة في فترة الصراع وعودة الاعتدال والعقلانية إلى هذه المدرسة. وفي نفس الوقت فإن هذا الموقف يدل على غاية في الورع والتقوى والاحساس بالمسؤولية عند هذا الفقيه الجليل، ولا شك أنه واجه كثيرا من الضغوط في موقفه هذا، ولكنه آثر أن يتحمل هذه الضغوط على أن يجري مع فضلاء عصره فيما كانوا يجرون فيه من تعميق وتوسيع شقة الخلاف بين المدرستين. والى جانب الاعتدال الذي أخذ به الشيخ يوسف رحمه الله كان الوحيد البهبهاني رحمه الله هو الآخر يرى أن رسالته في تكريس الخط الاصولي والاجتهاد والدفاع عنه وإزالة الشبهات التي جاء بها الاخباريون في التشكيك في الاجتهاد.

وبسبب هذا الاعتدال الذي أخذ به الشيخ يوسف، والموقف الحاسم الذي أخذ به لم تمض مدة حتى استقطب الشيخ البهبهاني فضلاء طلاب الشيخ يوسف البحراني، كالسيد مهدي بحر العلوم والسيد مهدي الشهرستاني، وتحول جمع من تلاميذ الشيخ يوسف من درسه إلى درس الوحيد البهبهاني. وكان همه الاول خلال هذه الفترة هو تكريس الاتجاه الاصولي ونقض ونقد الاتجاه الاخباري وإعادة الانسجام والاعتدال إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الفقه.

---

[٤٠] - الحدائق الناظرة-البحراني-المقدمة الثانية عشر- ص١٦٧

قصة مؤثرة: حدّث الشيخ عباس القمي في الفوائد الرضوية عن صاحب التكملة عن الحاج كريم فراش الحرم الحسيني الشريف أنه كان يقوم بخدمة الحرم في شبابه، وذات ليلة التقى بالشيخ يوسف البحراني والوحيد البهبهاني داخل الحرم الحسيني الشريف وهما واقفان يتحاوران، وطال حوارهما حتى حان وقت اغلاق أبواب الحرم فانتقلا إلى الرواق المحيط بالحرم واستمرا في حوارهما وهما واقفان، فلما أراد السدنة إغلاق أبواب الرواق انتقلا إلى الصحن وهما يتحاوران، فلما حان وقت إغلاق أبواب الصحن انتقلا خارج الصحن من الباب الذي ينفتح على القبلة، واستمرا في حوارهما وهما واقفان فتركهما وذهب إلى بيته ونام، فلما حل الفجر ورجع إلى الحرم صباح اليوم الثاني سمع صوت حوار الشيخين من بعيد، فلما اقترب منها وجدهما على نفس الهيئة التي تركهما عليها في الليلة الماضية مستمران في الحوار والنقاش، فلما أذن المؤذن لصلاة الصبح رجع الشيخ يوسف إلى الحرم ليقيم الصلاة جماعة ورجع الوحيد البهبهاني إلى الصحن وافترش عباءته على طرف مدخل باب القبلة، وأذن وأقام وصلى صلاة الصبح. وفي أمثال هذه المحاورات كان الوحيد يتمكن من خصومه الفكريين ويدحض شبهاتهم ويكرس الاتجاه الأصولي ويعمقه.

ولا بد أن نقول مرة أخرى اعترافا بالفضل للشيخ يوسف مؤلف الحدائق: إن تقوى الشيخ وخلوصه وصدقه وابتغاءه للحق كان من أهم عوامل هذا الانقلاب الفكري الذي جرى على يد الوحيد في كربلاء، ولو كان الشيخ يوسف من موقعه العلمي والاجتماعي يريد أن يجادل الوحيد ويظهر عليه لطالت محنة هذه المدرسة الفقهية واتسعت مساحة الخلاف فيها وتعمق فيها الخلاف، ولكن الشيخ يوسف كان يؤثر رضا الله والحق على أي شيء آخر، ومكن الوحيد البهبهاني في حركته الإصلاحية العلمية، ومما يروى من سيرة هذا المغوار والفقيه الجليل الشيخ يوسف البحرانيﷺ أنه رغم الصراع الطويل الذي خاضه مع الوحيد البهبهاني ﷺ في أمر الأصول والاجتهاد أوصى أن يصلي عليه بعد وفاته الوحيد البهبهاني دون غيره من معاصريه، وهذه درجة عالية من التجرد عن الأنانية لا يناله إلا ذو حظ عظيم من الإخلاص لله تعالى ، ومن غرائب ما يروى ايضا عن هذا العبد الصالح أن الوحيد كان يحظر على تلاميذه حضور دروس الشيخ يوسف، ولكن الشيخ في المقابل كان يسمح لتلاميذه بحضور دروس الوحيد، و كإن يقول كل يعمل بموجب تكليفه، ويعذر الوحيد في ذلك، وهو نموذج رائع من نماذج سعة الصدر والتقوى في فقهائنا الأعلام.

واستطاع الوحيد خلال فترة إقامته في كربلاء أن يربي عددا كبيرا من الفقهاء والمجتهدين. ولو تحرينا نحن فروع شجرة فقهاء أهل البيت في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر وجدنا أنهم جميعا يرجعون بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى الوحيد

البهبهاني، ولذلك يطلق على الوحيد البهبهاني (استاذ الكل) أو (الاستاذ الاكبر) وهو لقب يختص به الوحيد البهبهاني.[٤١]

أعلام لابد من معرفتهم

الأول: شيخ الطائفة الطوسي قدس سره: ترعرع الشيخ الطوسي في مسقط رأسه طوس، ودرس فيها علوم اللغة والأدب والفقه والحديث وعلم الكلام، ليهاجر بعدها إلى العراق حاملا من الثقافة الإسلامية فنونها.

وهناك استقر الطوسي في بغداد، حيث كانت تعج بالثقافة والعلوم، ويقصدها طلاب المعرفة من كل بلاد، وصادف وصوله إلى بغداد بعد تربع الشيخ المفيد على كرسي الزعامة الفكرية للمذهب الجعفري، وبعد أن قطع شوطا بعيدا في مجال العلم والمعرفة، الأمر الذي جعل حلقات درسه زاخرة بطلبة العلوم فكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف.

ومما يؤكد موضوعية الشيخ المفيد احترام الناس له، وان اختلفوا معه في الراي أو الانتماء المذهبي، فكان لهذه الأجواء تأثيرا بالغا في اجتذاب الطلاب إلى بغداد والتي كانت في ذلك الوقت عاصمة للخلافة، حتى صار شيخنا الطوسي واحدا من بين العديدين الذين أموا بغداد وقصدوها، وقد تتلمذ الشيخ الطوسي قدس سره على يد الشيخ المفيد قدس سره انذاك ونهل من معارفه وعلومه ما شاء الله.

وتلمذة الطوسي على يد الشيخ المفيد، تدل على ان الشيخ الطوسي كان قد قطع شوطا كبيرا من دراسته في مسقط رأسه قبل هجرته الى بغداد، مما أهله لان يحظى بموقع متقدم في مجال الدراسة التي يشرف عليها الشيخ المفيد مباشرة، وهو صاحب الزعامة الفكرية للشيعة الإمامية آنذاك.

وقد أثنى على الشيخ الطوسي جمع من العلماء والمؤرخين، وهنا نورد بعض اقوالهم:
فالعلامة الحلي يصفه بأنه: شيخ الإمامية ووجههم ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والاصول والكلام والادب، وجميع الفضائل تنسب اليه، صنف في كل فنون الاسلام، وهو المهذب للعقائد في الاصول والفروع الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل.

---

[٤١] - موضوع مدارس الفقه مقتبس مما جاء في مقدمة كتاب رياض المسائل للسيد مير علي الطباطبائي(قده) ومما كتبه العلامة الآصفي عن تاريخ فقه اهل البيت-ع-وكذا مما ذكر في مقدمة الروضة البهية ايضا من بحث الشيخ الآصفي(دام تأييده) مع مراجعة بعض المصادر الاساسية اشرنا اليها في الهامش.

وقال الشيخ المجلسي بحقه: ثقة، وفضله وجلالته أشهر من ان يحتاج الى بيان.

وقال السيد بحر العلوم في الفوائد الرجالية عند ترجمته للشيخ الطوسي:

شيخ الطائفة المحقة، ورافع أعلام الشريعة الحقّة، إمام الفرقة بعد الائمة المعصومين عليهم السلام ،وعماد الشيعة الإمامية، في كل ما يتعلق بالمذهب والدين، محقق الاصول والفروع، ومهذب فنون المعقول والمسموع، شيخ الطائفة على الاطلاق ورئيسها الذي تلوى اليه الأعناق، صنف في جميع علوم الاسلام، وكان القدوة في كل ذلك. ويصفه الاردبيلي بانه رئيس الطائفة.

وابن كثير يصفه: فقيه الشيعة، وابن الجوزي ينعته بعبارة: متكلم الشيعة وهكذا غيرهم ممن ذكر الشيخ وأثنى عليه.

تتلمذ الشيخ الطوسي على يد جملة من العلماء والشيوخ سواء في طوس او في بغداد،وكان هؤلاء الاساتذة والشيوخ ينتمون الى مذاهب إسلامية مختلفة، ففيهم علماء الإمامية والزيدية وأهل السنة، الأمر الذي ساهم وبشكل فعال في خلق الثقافة الموسوعية للشيخ، كما وطبع شخصيته بشيء من الانفتاح، ومنحها خاصية التحري والاستقصاء، بعد ان وقف على ما لدى جمع من علماء الإسلام من مختلف المذاهب الإسلامية، وبهذا يكون الطوسي قد درس جملة من المذاهب والأفكار على يد أصحابها وعلمائها، لذا نجده حينما يناقش آراء العلماء أو يحاورهم يمتاز بالدقة والموضوعية وسعه الاطلاع، وقد استفاد ذلك كله من الأجواء العلمية المنفتحة والحرية الفكرية التي كانت سائدة في عصره، وخاصة أيام العهد البويهي، فنهل من العلوم ما شاء الله على يد جمع كثير من علماء المسلمين.

ما ان استقل الشيخ الطوسي بزعامة المذهب الإمامي عند وفاة الشريف المرتضى عام٤٣٦هـ في بغداد حتى صارت داره في الكرخ مأوى الأمة ومقصد الوفاد، وقد انهال العلماء على دروسه، واجتمع تحت منبره جمع من التلاميذ بلغ عددهم أكثر من ثلثمائة مجتهد ومن العامة ما لا يحصى كثرة وكان اغلبهم من ذوي الشأن والعلم، وكان مقدما في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان، وكان يوم وفاته يوما لم ير أعظم منه من كثرة الناس الذين حضروا للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف والموافق.

مميزات شيخ الطائفة:

١- المؤهلات الذاتية التي يمتلكها الشيخ الطوسي من ذكاء وفطنة وسرعة حافظة، ولعل نظرة واحدة في كتابه الأمالي توضح للقارئ ما حظي به الشيخ من موهبة عقلية عالية، فهو يروي خطبا او رسائل كاملة او أحاديث مطولة على ظهر قلب مع ذكر السند واسماء الرواة وابائهم واجدادهم والقابهم حتى يوصلهم الى مصدر الحديث او الخطبة او الرسالة سواء كانت عن النبي ﷺ او عن أحد الائمة ﷺ.

٢- توفر للشيخ الطوسي من الأساتذة مالم يتوفر مثلهم لغيره من الطلبة كالشيخ المفيد والشريف المرتضى وآخرين كثيرين، فنهل من علومهم ما شاء الله.

٣- توفرت للشيخ الطوسي مكتبات ودور علم زاخرة بجميع المصنفات النفيسة، وفي مختلف الفنون والعلوم والأداب ما أهله لان يغترف من محتوياتها وكتبها ما وهبه ثقافة موسوعية رائعة، ومن اهم تلك المكتبات مكتبة الوزير البويهي سابوربن اردشير، والتي كانت تضم أكثر من عشرة الاف مجلد. والمكتبة الاخرى هي مكتبة الشريف الرضي، والتي كانت تمنح الطلاب ما يحتاجون اليه من وسائل مادية، ثم مكتبة الشريف المرتضى، والتي كان فيها ثمانون ألف مجلد. وغيرها من المميزات التي لا يسع المجال لذكرها امثال اطلاعه على اراء المذاهب الاخرى عن كثب واخذه من علومهم مما اتاح لهم القدرة العظيمة والواقعية في نقدهم وتفنيد اقوالهم.

سبب انتقال الشيخ الى النجف الاشرف: لقد ابتليت الأمة بملوك وسلاطين عاثوا في الأرض فسادا وخرابا ومن بينهم السلاجقة حيث أشعلوا نار الفتن المذهبية في بغداد بين جميع المذاهب حيث حاول بعض العامة ان يأخذ الأذن في بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحصلوا على هذا الاذن فعاثوا فسادا وخربوا وكسروا وقتلوا وأمروا جميع العامة ان يطبقوا ما هو موجود في مذهبهم واغرى اول ملوك السلاجقة طغرل بيك هؤلاء بالشر حتى ادى الأمر أول وصوله الى بغداد سنة ٤٤٧ إلى إحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها ابو نصر سابور وزير بهاء الدولة البهويهي وكانت من دور العلم المهمة في بغداد، بناها هذا الوزير الأديب في محلة بين السورين في الكرخ سنة ٣٨١ على مثال(بيت الحكمة) بناه هارون العباسي، وقد جمع فيها ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تآليف اهل الهند والصين والروم كما نقل ان كتبها نافت على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، و اكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين، قال ياقوت الحموي: وبها كانت خزانة الكتب التى

اوقفها الوزير ابو نصر سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة الخ وكان من جملتها مائة مصحف بخط ابن مقلة على ما ذكره ابن الاثير ،وحيث كان الوزير سابور من أهل الفضل والادب أخذ العلماء يهدون اليه مؤلفاتهم فاصبحت مكتبته من اغنى دور الكتب ببغداد،وقد احترقت هذه المكتبة العظيمة فيما احترق من محال الكرخ عند مجئ طغرل بيك، وتوسعت الفتنة حتى اتجهت الى المترجم واصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه للكلام.[٤٢]

قال ابن الجوزي في المنتظم في ذكر حوادث سنة :٤٤٨ وهرب ابو جعفر الطوسي نهبت داره ، ثم قال في حوادث سنة :٤٤٩ وفي صفر في هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام، واخرج الى الكرخ واضيف اليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوار من اهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة فاحرق الجميع ..الخ .[٤٣] ولما راى الشيخ الخطر محدقا به هاجر بنفسه الى النجف الاشرف لائذا بجوار امير المؤمنين عليه السلام وصيرها مركزا للعلم وجامعة كبرى للشيعة الإمامية، وأخذت تشد اليها الرحال وتعلق بها الآمال، واصبحت مهبط رجال العلم ومهوى افئدتهم .

تلك هى جامعة النجف العظمى التى شيد المترجم ركنها الاساسي ووضع حجرها الاول، وقد تخرج منها خلال هذه القرون المتطاولة آلاف مؤلفة من أساطين الدين وأعاظم الفقهاء، ونوابغ المتكلمين، وأفاضل المفسرين وأجلاء اللغويين.[٤٤]

وللأسف الشديد ما نراه اليوم من هجوم على شيخ الطائفة قدس سره وإستصغار شأنه من قبل بعض الشخصيات المأزومة او الموجهة شعرت بذلك أو لم تشعر ما يستدعي أهل العلم والفضل دفع تلك الشبهات التي تطال عامّة المؤمنين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الثاني:العلامة الحلي قدس سره

هو الشيخ أبو منصور الحسن بن يوسف بن زين الدين علي بن المطهر الحلي ولقب العلامة لم يكن لأحد قبله لغزارة علمه وعلو مقامه على أقرانه من علماء الخاصة والعامة.

---

[٤٢] - الكامل في التاريخ- ابن الاثير- احداث سنة ٤٥٠هـ

[٤٣] - المنتظم – ابن الجوزي-حوادث سنة٤٤٩-ج٤ص٤١٦/كما ذكر هذا المعنى ابن كثير في البداية والنهاية-ج١٢ص٧١

[٤٤] - حياة الطوسي- تراجم ورجال الشيعة

ولد العلامة سنة ٦٤٨ للهجرة المباركة ونشأ في بيئة طاهرة عرفت بالعلم والتقوى فقرأ على خاله المحقق الحلي ومن قبله قرأ على والده وعلى السيد جمال الدين احمد بن طاووس وأخيه علي بن طاووس وعن غيرهم من الخاصة والعامة.

بدأ في تحرير الفقه وهو لم يكمل سن السادسة والعشرين من عمره المبارك، فيكشف لك هذا الأمر عن ذكاء خارق ومقدرة كبيرة وفطنة عالية في تتبع الأبحاث والمباني العلمية.

قال السيد الأمين ﵀ عنه: هو العلامة على الإطلاق، الذي طار صيته في الآفاق، ولم يتفق لأحد من علماء الأمامية أن لقب بالعلامة على الإطلاق غيره، ويطلق عليه أيضا (آية الله)، برع في المعقول والمنقول، وتقدم وهو في عصر الصبى على العلماء الفحول.

وقال العلامة نفسه في خطبة المنتهى:- إنه فرغ من تصنيفاته الحكمية والكلامية، واخذ في تحرير الفقه من قبل أن يكمل له ٢٦(سنة)، سبق في فقه الشريعة، وتأليفه المؤلفات المتنوعة، من مطولات ومتوسطات ومختصرات، فكانت محط أنظار العلماء من عصره إلى اليوم تدريسا وشرحا وتعليقا، فألف من المطولات ثلاثة كتب لا يشبه واحد منها الآخر، وهي المختلف "ذكر فيه أقوال علماء الشيعة وحججهم، والتذكرة ذكر فيها خلاف علماء غير الشيعة وأقوالهم واحتجاجهم، ومنتهى المطلب ذكر فيه جميع مذاهب المسلمين، وألف من المتوسطات كتابين لا يشبه احدهما الآخر، وهما القواعد فكان شغل العلماء في تدريسها وشرحها من عصره إلى اليوم،وشُرحت عدة شروح، والتحرير جمع فيه أربعين ألف مسألة، وألف من المختصرات ثلاثة كتب لا يشبه أحدها الآخر وهي إرشاد الأذهان وإيضاح الأحكام أخصر منه والتبصرة لتعلم المبتدئين أخصر منهما الى ان قال: وبرع في الحكمة العقلية حتى أنه باحث الحكماء السابقين في مؤلفاته، وأورد عليهم وحاكم بين شراح الإشارات لابن سينا، وباحث الرئيس ابن سينا وخطاه، إلى أن قال: ولما سئل النصير الطوسى بعد زيارته الحلة عما شاهده فيها قال: رأيت ، خريتا ماهرا، وعالما إذا جاهد فاق، عنى بالخريت المحقق الحلى، وبالعالم العلامة .

وقال ابن حجر العسقلاني الشافعي فى الدرر الكامنة بعد ما اورد اسمه الشريف ما لفظه: وصنف في الأصول والحكمة، وكان رأس الشيعة بالحلة واشتهرت تصانيفه، وتخرج به جماعة، وشرحه على مختصر ابن الحاجب في غاية الحسن في حل الفاظه وتقريب معانيه، وصنف في فقه الامامية، وكان قيما بذلك داعية اليه، وله كتاب في الامامة رد عليه فيه ابن تيمية بالكتاب المشهور المسمى بالرد على الرافضي.[٤٥]

[٤٥] - الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة- ابن حجر العسقلاني-ج١- حرف الحاء-ص٢٠٨

أهم منجزاته

اولا: نشر التشيع والترويج له ببركة غزارة علمه وورعه والتوفيقات الإلهية التي جرت على لسانه الشريف فكان هو السبب الرئيسي في تشيع السلطان التتري خدابنده (رحمه الله) فقد ذهب ابن بطوطة الى أن الفصل المهم في تشيع الجايتو هو الدور الذي ذكر للعلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن المطهر المتوفى سنة ٧٣٦) فامر السلطان بحمل الناس على الرفض، و كتب بذلك الى العراقين و فارس و آذربايجان و اصفهان و كرمان و خراسان و كان السلطان امر بان تسقط اسماء الخلفاء و سائر الصحابة من الخطبة و لا يذكر الا اسم علي- ع- و من تبعه كعمار-رضوان الله عليه- و ان تصنيف العلامة الحلي عددا من الكتب في الامامة و اهدائها الى (الجايتو) معلم على جهود هذا الفقيه الشيعي في نشر التشيع يومئذ.[٤٦]

وان السبب في تشيع الجايتو خدابنده هو المناظرة التي وقعت بين العلامة وفقهاء المذاهب الاخرى واليك المناظرة:

ذُكر إنّ الشاه خدابنده غضب يوماً على امرأته فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، ثمّ ندم وجمع العلماء.

فقالوا: لابدّ من المحلّل.

فقال: عندكم في كلّ مسألة أقاويل مختلفة أو ليس لكم هنا اختلاف؟

فقالوا: لا.

فقال أحد وزرائه: إنّ عالماً بالحلّة وهو يقول ببطلان هذا الطلاق.

فبعث كتابه إلى العلاّمة، وأحضره، فلمّا بعث إليه.

قال علماء العامّة: إنّ له مذهباً باطلاً، ولا عقل للروافض، ولا يليق بالملك أن يبعث إلى طلب رجل خفيف العقل.

قال الملك: حتّى يحضر.

فلمّا حضر العلاّمة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الاربعة، وجمعهم.

فلمّا دخل العلاّمة أخذ نعليه بيده، ودخل المجلس، وقال: السلام عليكم، وجلس عند الملك.

فقالوا للملك: ألم نقل لك إنّهم ضعفاء العقول.

قال الملك: اسألوا عنه في كلّ ما فعل.

فقالوا له: لماذا لم تسجد للملك وتركت الآداب؟

[٤٦] -الشيعة في إيران- رسول جعفريان-ج٢٦ص٢٠

فقال: إنَّ رسول الله ﷺ كان ملكاً وكان يسلم عليه، وقال الله تعالى: (فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفُسِكم تحيّةً من عنِد الله مباركةً)، ولا خلاف بيننا وبينكم أنّه لا يجوز السجود لغير الله.

ثمّ قال له: لم جلست عند الملك؟

قال: لم يكن مكان غيره، وكلّما يقوله العلاّمة بالعربي كان المترجم يترجم للملك.

قالوا له: لايّ شيء أخذت نعلك معك، وهذا ممّا لا يليق بعاقل بل إنسان؟

قال: خفت أن يسرقه الحنفيّة كما سرق أبو حنيفة نعل رسول الله!!

فصاحت الحنفيّة: حاشا وكلاّ، متى كان أبو حنيفة في زمان رسول الله ﷺ بل كان تولّده بعد المئة من وفاته ﷺ

فقال: فنسيت فلعلّه كان السارق الشافعي!! فصاحت الشافعيّة كذلك، وقالوا: كان تولّد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة، وكانت نشوءه في المئتين من وفاة رسول الله ﷺ.

وقال: لعلّه كان مالك!!

فصاحت المالكية كالاوّلين.

فقال: لعلّه كان أحمد ففعلت الحنبليّة كذلك.

فأقبل العلاّمة إلى الملك، وقال: أيّها الملك علمت أنّ رؤساء المذاهب الاربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول الله ﷺ ولا الصحابة، فهذا أحد بدعهم أنّهم اختاروا من مجتهديهم هذه الاربعة، ولو كان فيهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوّزون أن يجتهد بخلاف ما أفتى واحد منهم.

فقال الملك: ما كان واحد منهم في زمان رسول الله ﷺ والصحابة؟!

فقال الجميع: لا.

فقال العلاّمة: ونحن معاشر الشيعة تابعون لأمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله ﷺ وأخيه وابن عمّه ووصيّه، وعلى أيّ حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل لأنّة لم يتحقّق شروطه، ومنها العدلان فهل قال الملك بمحضرهما؟

قال: لا.

ثمّ شرع في البحث مع العلماء حتّى ألزمهم جميعاً، فتشيّع الملك، وبعث إلى البلاد والاقاليم حتّى يخطبوا بالائمّة الاثني عشر عليهم السلام، ويضربوا السكك على أسمائهم وينقشوها على أطراف المساجد والمشاهد منهم.

ومن لطائفه أنّه بعد إتمام المناظرة وبيان احقيّة مذهب الاماميّة الاثنى عشريّة، خطب الشيخ . قدس الله لطيفه . خطبة بليغة مشتملة على حمد الله والصلاة على رسوله . صلى

الله عليه وآله وسلّم . والائمة . عليهم السلام . فلمّا استمع ذلك السيّد الموصلي الذي هو من جملة المسكوتين بالمناظرة.
قال: ما الدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الانبياء . عليهم السلام .؟
فقرأ الشيخ في جوابه . بلا انقطاع الكلام .: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون) فقال الموصلي على طريق المكابرة: ما المصيبة الّتي أصاب آله حتّى أنّهم يستوجبون لها الصلاة؟
فقال الشيخ . رحمه الله .: من أشنع المصائب وأشدّها أن حصل من ذراريهم مثلك الّذي يرجّح المنافقين الجهال المستوجبين اللعنة والنكال على آل رسول الملك المتعال، فاستضحك الحاضرون، وتعجّبوا من بداهة جواب آية الله في العالمين.[٤٧]

ثانيا: من انجازات العلامة قدس سره انه غير طريقه التفكير والاستنتاج من الرواية واخضعها الى الاستدلالات العقلية وشد بذلك من رصانة الطريقة الاستدلالية في وقت كثرة فيه التعملات العقلية فكان الاستدلال معتمدا على الرواية ولكن بطريقة الاستدلال العقلي.
ثالثا: كثرة مؤلفاته ومصنفاته وقد وافيناك ببعضها وفي مختلف الابواب العلمية وهذا ان دل على شيء فأنه يدل على عظمة هذا الفذ المغوار الذي جاب فيافي العلم والمعرفة وسخرها خدمة للدين الحنيف حتى قالوا عنه: اننا لو قسمنا مصنفات العلامة على ايام عمره لكان حصة كل يوم كراس رغم انشغاله بالدرس والتدريس وزعامة الأمة وليس هذا الا حجة علينا في بذل الوسع في التعلم خدمة للدين الحنيف.

ركائز الدراسة الحوزوية (تحضير الدرس- حضور الدرس- المذاكرة السريعة- قراءة الدرس- التقرير- المباحثة)

ان الدرس الحوزوي يختلف عن باقي دروس الحقول المعرفية الأخرى فهو يحتاج الى مروره بمراحل متعددة حتى ينضج ويكتمل، واولى هذه المراحل ان يقوم الطالب بقراءة الدرس قبل الحضور عند الاستاذ وبهذه الطريقة يمكنه مواصلة الدرس بتفاعل اكثر مع التأشير على النقاط غير الواضحة اثناء القراءة الأولى، وبعد ذلك عليه الحرص بأن يحظر الدرس ومن دون انقطاع وان لا يتأخر عن حضور بداية الدرس مهما امكن، ثم بعد حضور الدرس يقوم بالمذاكرة مع اخوانه الطلبة بالنقاط الاساسية بالدرس لرفع التوهم او عدم وضوح فكرة ما على ان لا تستغرق هذه المذاكرة بضعة دقائق لأنها ليست الا مرورا سريعا على الدرس ومن بعدها قراءة الدرس وان امكنه حفظه فعل ليجمع بين الفهم والحفظ

[٤٧] - مناظرات في الامامة-الشيخ عبد الحسين الحسن –مركز الابحاث العقائدية –المناظرة الثامنة

وهذه مرتبة عالية لا يحظى بها كل احد الا بتوفيق من الله تعالى وجهود مبذولة من الطالب، وان اراد الطالب استعان بطريقة المشجرات وهي طريقة تسهل على الطالب الاحاطة بالأركان الاساسية للدرس، وبعد المرور بهذه المراحل المهمة يقوم الطالب بكتابة الدرس وتقريره وعملية التقرير من المراحل المهمة لأنها ترسخ المعلومة في الذهن هذا اولا وثانيا بعد كتابة الدرس وبأسلوب الطالب وبهذا تنُمى عنده القابلية على الكتابة والتأليف بمرور الزمن وهذا فتح عظيم يحققه الطالب، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (قيدوا العلم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته). وقد يقال بأن الأحاديث الواردة بخصوص تقييد العلم انما هي من اجل الحفاظ عليه من الضياع ولا دخل لها بترسيخ المعلومة في الذهن وحفظها، ولكن هذا الكلام ليس بتام وان كانت هذه من فوائد الكتابة ولكن لا يمكن الالتزام بها وحدها لان هناك أحاديث يمكن الاستفادة منها على ان كتابة العلم ترسخ المعلومة في الذهن فقد روي أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكى ذلك إلى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: استعن بيمينك. وأومأ بيده، أي خط.[٤٨] فقد يقال على ان المراد هو استيثاق المعلومة بالكتابة والحفاظ عليها بدل نسيانها الا انه ليس ببعيد من وجود الدلالة على ترسيخ المعلومة في الذهن بعد كتابتها وقد ثبت ذلك علميا على ان المعلومة المسموعة يوجد لها نحو ثبوت في الذهن بمقدار السماع ولكن المعلومة المسموعة والمكتوبة والمرئية تتعدد صور وجودها في الذهن وبهذا تترسخ أكثر وليس من السهل نسيانها كالمسموعة فقط والوجدان شاهد على ذلك فأن الحدث الذي تسمعه ربما تنساه بمرور الوقت ولكن الحدث الذي تعيشه وتراه ليس من السهولة نسيانه كالأول.

ملاحظة: أفضل طريقة لكتابة التقرير ان يكون الكتاب مغلقا وتقوم بكتابة ما تتذكره من مطالب الدرس وبأسلوبك انت.

وبعد الانتقال من المرحلة الدراسية الاولى ووصوله الى المرحلة الثانية بقوم الطالب بالمباحثة بالدروس التي قد انتهى من دراستها وبذلك يكون رجوعه لها بعقلية أنضج وبدقة أكبر لأنه لازال يتطور علميا وتتفتح ذهنيته بشكل اوسع فعن أمير المؤمنين ﷺ (عليكم بطلب العلم، فإن طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة))[٤٩]، وبهذا فلا آفة للعلم لان آفته النسيان ومع هذه الطرق إن التزمنا بها فلا نسيان بعون الله تعالى، وبعد اتقان المادة العلمية يقوم الطالب بتدريسها مرارا وهذه مرحلة التواصل مع الدرس والنفقة للعلم، والله ولي التوفيق.

---

[٤٨] - بحار الانوار-المجلسي-ج٢ص١٥١

[٤٩] - مستدرك السفينة- النمازي ج٧-ص٣٤٦

تنبيه: على الطالب المجد الذي يريد الوصول الى مبتغاه ان لا يؤجل دروسه تحظيرا ومباحثة وتقريرا الى غد لأنه بهذه الطريقة يكون قد اوقع نفسه في تراكم المادة العلمية بحيث لا يسعه تداركها نعم هناك بعض الظروف التي تحكم الطالب ففي مثل هذه الحالة عليه تدارك الخلل ايام التعطيل ولا يتسامح في الامر لان ذلك طريقا للخلل وعدم اتقان العلم.

فوائد:

١- على طالب العلم وبعد قصد القربة لله تعالى خدمة لدينه الأقدس أن يحب درسه لأنه الوسيلة التي توصله الى غايته المقدسة وبذل وسعه مهما أمكن وان لا يراوده الملل والضجر وان حدث له هذا الامر استعان بالله تعالى عليه متوسلا بالوسائل التي ارادها الباري تعالى للتخلص من هذا الامر وأقرب هذه الوسائل هم اهل البيت- صلوات الله عليهم اجمعين-

٢- ان لا يؤثر الجانب العلمي والانشغال بالدرس على بعض الامور المستحبة الضرورية لان التقرب الى الله تعالى بالنوافل والمستحبات باب من الابواب المهمة لرسوخ العلم ورسوخ التقوى التي لها دور في التوفيقات الالهية قال الله تعالى ((وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[٥٠] فالنوافل والادعية المشهورة وزيارة سيد الشهداء عليه السلام ولو من بعد لها تأثير كبير في طلب العلم وقد نقلت قصص كثيرة من قبل العلماء عن تأثير هذه الامور في زيادة العلم والمعرفة وسعة المدارك.

٣- احترام أهل العلم وتقديسهم والدعاء لهم فأن احترام الأستاذ والطالب الذي بذل نفسه من اجل خدمة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله والدعاء لهم بظهر الغيب له تأثير كبير لنيل رضا الله تعالى الذي هو السبب الأساسي للوصول الى العلم فأن الباري تعالى ان رضا عنك امدك بالقوة في جوارحك وجوانحك وشد من عزيمتك لمواصلة التعلم فأنه طريق صعب يحتاج الإنسان فيه الى بذل الجهد والتقرب من المولى الكريم.

٤- هناك بعض العلوم المهمة التي لا تدرس في الحوزة المباركة لعدم مساسها بالهدف المبتغى في تحصيل الأحكام الشريعة وعملية الاستنباط، ولكن لهذه العلوم الدور المهم في زيادة الحصيلة المعرفية للطالب وزيادة مكنته وقابليته العلمية، فعلى الطالب أن يطالع مصادرها ويعرف اساسياتها كعلم الاجتماع وعلم النفس والسيرة والتاريخ والادب وغيرها.

[٥٠] - البقرة ٢٨٢

٥- هناك بعض الأعراف المشهورة بين طلبة العلم عليه الالتزام بها وعدم خرقها لأنها مستقاة تارة من الروايات الشريفة واخرى من تشخيص صغريات منافاة المروءة والوقار وتبجيل طالب العلم والحفاظ على قدسيته لبقائه مؤثرا في الناس وهدايتهم، ومن هذه الأعراف عدم الاكل في الشارع او الاماكن المفتوحة والمزاح فيها والمشي باتزان ووقار وعدم التلفظ بما يستعمله عامة الناس، وعلى الطالب ان يرجع إلى أهل الفضل واستشارتهم واستيضاح الأمر منهم.

تنظيم الوقت

للوقت أهمية بالغة في حياة الإنسان بسبب تسلط قانون الزمان علينا قهريا قال أمير المؤمنين ﷺ (وَ اِعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفاً وَ يَقْطَعُ اَلْمَسَافَةَ وَ إِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً)، فالزمن هو آنات متصرمة ينفي اللاحق منها وجود السابق ونحن بنو البشر نقضي اجلا في هذه الدنيا ومن ثم نرحل عنها فعلينا ان نستغل وجودنا في هذه النشأة ونحسن مصاحبتها ، ولان الاسلام هو النظام الالهي الاكمل فكل شيء من نظرياته قائم على التوازن قال الله تعالى **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)**.

فالأساس في المنظور الإسلامي هي الحياة الآخرة وهي دار القرار ودار البقاء الحقيقي وان الدنيا انما هي ممر ومعبر ومزرعة لتلك الدار الحقيقية كما جاء في الخبر النبوي الشريف (الدنيا مزرعة الآخرة) والشرع المقدس اهتم بالدارين معا واسس الاسس الرصينة لهما وجعل الدنيا عونا للإنسان حتى يتزود منها لأخرته فنعم العون على الاخرة الدنيا كما ورد في الأثر.

ونتيجة لأهمية الوقت الذي عبرت عنه الروايات الشريفة احيانا بالعمر فقد حثت على الاهتمام به وعدم هدره باللهو واللعب وما يوجب خسران تلك الجوهرة الثمينة وقد نبه أمير المؤمنين ﷺ في وصيته للشيخ الشامي الى هذا الامر الهام **(ما أسرع الليالي والايام في عمر العبد)** وفي الحديث الشريف المشهور **(لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، عن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)**[٥١]

[٥١] - أمالي الطوسي

وقد حث الشارع الاقدس على اغتنام الفرص وعدم تفويتها والا كانت النتيجة الندم والاسف، فعن امير المؤمنين عليه السلام **(إضاعة الفرصة غصّة)**[٥٢] ،**ومن وصايا النبي الاعظم صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)**[٥٣] وهناك العشرات بل ربما المئات من الروايات الشريفة التي تدعو الى الاهتمام بالوقت، ومن هنا كان لزاما علينا الاهتمام بهذا الامر المهم وكما قال امير المؤمنين عليه السلام في وصيته المشهورة **(أُوصِيكُمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اَللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ)**.

فنظم وتنظيم امورنا من الاشياء الهمامة في حياتنا وعلينا مغادرة حالة الفوضى والضياع والغفلة[٥٤] التي هي من اشد القضايا التي نبتلي بها، فلا تكن مشتغلا بما لا ينبغي فقد قالها من قبل امير المؤمنين عليه السلام **(فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ اَلطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ اَلْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ اَلْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا وتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا)**

استعراض اهم النظريات العالمية لتنظيم الوقت

واليك استعراضا موجزا لأهم النظريات العالمية التي اهتمت بهذا الامر:

اولا: نظرية باركنسون: لمؤسسها مؤرخ البحرية البرطانية سيريل نورثكوت باركنسون وتُعد من أشـــهر النظريات العالمية في باب تنظيم الوقت، وفحواها ان للعمل وقتا طبيعيا الا انه إذا مددت وقته وجعلت له وقتا اطول فإن العمل سوف يتمدد بلحاظ الزمان المتاح له وعليه فلا بد من ارجاع كل عمل الى وقته الطبيعي فما تنجزه في ثمان ســـاعات يمكن ان تنجزه في أربع ساعات.

أما الدواعي لهذه الظاهرة فعديدة:

منها: الكسل، ومنها: الكمالية الوهمية بداعي ان العمل إذا طال وقته فإنه سوف يتقن بصورة أفضل.
ومنها: الهروب من التكليف بعمل آخر جديد لو انجز العمل الاول بوقت أقصر، وغيرها من الدواعي الاخرى.

---

[٥٢] - بحار الانوار ج٦٨ص٢١٧

[٥٣] - مستدرك سفينة البحار ٢١٨

[٥٤] - (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الاعراف ١٧٩ (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) النحل ١٠٨

ولهذه الاطروحة مؤيدات من الواقع العملي، من اهمها ما يجري من تقليص اسبوع العمل الى اربعة ايام وقصر الاجتماعات على ثلاثين دقيقة ما أسهم في زيادة الانتاج الى ٤٠٪.

ثانيا : مصفوفة الاولويت : لمؤسسها ستيفن كوفي ويقال ان هذه النظرية مأخوذة من افكار الرئيس الامريكي الرابع والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية أيريت ايزنهاور وملخص هذه النظرية يكمن في تقسيم الاعمال الى اربع مربعات وفقا للمصفوفة بلحاظ المهم وغير المهم والعاجل وغير العاجل، وبهذا تكون عندنا اعمال مهمة مستعجلة - الطوارئ- (كالحالات المرضية والامتحان المفاجئ) ومهمة غير مستعجلة- الجودة- (كمشروع قراءة كتاب او موسوعة ما او امتحان له متسع من الوقت) وغير مهمة مستعجلة – الخداع- (كمتابعة مباريات كرة القدم او المسلسلات الدرامية) وغير مهمة غير مستعجلة –الهروب- (كتصفح النت لمجرد التصفح او كشرب القهوة خارج المنزل).

وقالوا عن هذه المصفوفة إنك تبدأ بالأعمال المهمة فتنفذها وتملئ بها الوقت واما الاعمال الصغيرة فإنها تجد لنفسها مكانا وفسحة بين تلك الاولويات المهمة عينا كما اذا كان عندك إناءا وعندك احجارا كبيرة ورملا فأنك ان ابتدأت بوضع الرمال والحصى الناعم فمن الصعوبة بعدها ان تجد مكانا للأحجار الكبيرة بينما إن فعلت العكس وبدأت بوضع الحجار الكبيرة فإن الرمل والحصى الناعم سيتخلل بين الاحجار الكبيرة ويجد له مكانا.

مصفوفة العاجل والمهم

	عاجل	غير عاجل
مهم	1 طوارئ — ازمات مشاكل ضاغطة - صيانة عاجلة اتصال مهم - مستشفى موعد مهم حُدد متأخراً تدريس الأولاد يوم الاختبار	2 التخطيط اكتساب مهارة — دورة تدريبية صلة رحم - بناء علاقات التعرف على فرص جديدة الترويح عن النفس
غير مهم	3 المقاطعات بعض الرسائل المقابلات المفاجئة مشوار غير مهم للأهل أو لأحد الزملاء	4 نشاطات مسلية غير مهدفة مشاهدة التلفاز للتسلية مكالمات هاتفية غير مهمة دردشة الانترنت المزاح الزائد التوافه ومضيعات الوقت

ثالثا: مبدأ باريتو: ومؤسس هذا المبدأ المهندس والفيلسوف وعالم الاقتصاد الايطالي باريتو، وفحوى هذا المبدأ ينص على ان ٨٠٪ من اعمالنا اليومية تأتي كنتائج من اسباب ومؤثرات بنسبة ٢٠٪ وبهذا فأن معرفة الاسباب والمؤثرات وتحديدها يؤثر ايجابا او سلبيا في مسألة تنظيم الوقت وعدم هدره وضياعه.

فعند معرفة الاسباب التي تنتج نتاجا كبيرا نقصر التركيز عليها ونجعلها في خانة الاولويات ونحاول مغادرة الاسباب والعلل غير المثمرة التي تأخذ جل وقتنا ولا تعطي فائدة معتدا بها.

وبعد هذا البيان الموجز لاهم النظريات العالمية لتنظيم الوقت نعرج على بيان التطبيق العملي للحل الامثل ويكمن في اربعة مراحل فنقول:

المرحلة الاولى: مرحلة تحديد المشكلة من خلال وضع جدول يومي او اسبوعي لأعمالنا وانشغالاتنا ويفضل ان يكون يوميا وذلك لخبر الاختصاص عن الامام الكاظم (عليه السلام) ((ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم)).

وطبيعة وضع الجدول بأن تأخذ ورقة عند استيقاظك وتبدأ بتدون كل عمل تعمله وتنظر الى مقدار ما يأخذه من الوقت، فمثلا: وقت الفطور يأخذ منك نصف ساعة ووقت الاستعداد للحضور الى الدرس يأخذ كذا من الوقت ووقت الدرس الاول الفعلي يأخذ كذا من الوقت وهكذا...)

المرحلة الثانية: النظر والتأمل في جدولنا اليومي لنرى اي الاعمال اخذت وقتنا وما هو مقدار الوقت المهدور عبثا، ونلاحظ بصورة عامة ما يلي:

اولا: اعمالا قد اعتدنا عليها لمجرد الاعتياد ولا يمكن عدها من الاعمال المهمة ولا من الاعمال العبثية البحتة.

ثانيا: اعمالا هامة ولكنها أخذت أكبر من حجمها، وقد حصل لي إني رأيت بعض اخواننا طلبة العلوم يتباحثون بالدرس الواحد لأكثر من ساعة.

ثالثا: الاعمال العبثية كالمسامرة التي تزيد عن وقتها، او تطويل المكث على الطعام زائد على المقدار المتعارف وربما اخذ النوم منّا مأخذا كبيرا، وكما قال إمامنا الصادق (بئس الغريم النوم يفني قصير العمر ويفوت كثير الاجر) وكذا الساعات الطويلة التي تهدر في التصفح بالأجهزة الذكية من خلال مقاطع اللهو او مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها.

المرحلة الثالثة: مرحلة الحل وتكمن هذه المرحلة بإرادة الإنسان وقوة صبره وتحمله قال الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة)، وكما يقول امير المؤمنين عليه السلام(انما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر) فالنفس تحتاج الى ترويض كالبهيمة الصعبة التي تحتاج الى سائس ومروض والا تقحمت واهلكته فنأتي الى الاعمال العبثية واللهوية ونغادرها شيئا فشيئا والى الاعمال غير الضرورية كالزيارات والتنقلات ونحاول استغلال الفراغ فيها بالتأمل والتفكير وربما تنجز بعض الاذكار العبادية المستحبة او حتى قضاء النوافل او حفظ بعض النصوص وقد سُئل بعض العلماء كم ساعة تقرأ في اليوم؟ فقال لهم قولوا كم ساعة تقضيها في التفكر في المسائل العلمية، وقد نُقل عن بعض اعاظم عصرنا انه طالع العديد من الكتب في اثناء تناوله للطعام على مدى عمره الشريف.

ومن ثم نأتي الى الاعمال المهمة التي أخذت أكبر من حجمها ونحاول تقليص الوقت الى المعدل الطبيعي لها.

وبحسب نظرية مصفوفة الاولويات نبدأ بتقديم الاولى والاهم من امورنا فالأولى، والمربع المهم من مصفوفة الاولويات هو مربع (المهم غير المستعجل) وهو المربع الثاني وفق المخطط التوضيحي أعلاه، وفيه يأتي دور التخطيط التدبير والبحث عن الجودة في العمل، واما المربع الاول (المهم المستعجل) فهو للأعمال الطارئة التي تحتاج الى حلول فورية وهنا قد تواجهنا العديد من المشاكل نتيجة لعدم التدبير واخذ الوقت الكافي لدراسة النتائج، واما المربع الثالث القائم على الخداع فتصور لك نفسك ان هناك شيئا مستعجلا عليك انجازه وإن كان غير مهم كمشاهدة لعبة كرة القدم او مسلسل درامي او ما الى ذلك، واما المربع الاخير فهو لمجرد الهروب من الروتين والملل من الواقع المعاش اذ في هذا المربع الاعمال غير المستعجلة وغير المهمة..... لاحظ مخطط مصفوفة الأعمال.

المرحلة الرابعة: مرحلة التحسين المستمر (كايزن) واصل هذه الكلمة ياباني بمعنى التحسين الى الافضل، والمعروف ان هذه الطريقة اليابانية جاءت نتيجة لتأثر اليابانيين بعد الحرب العالمية الثانية بمعلمي إدارة الاعمال وإدارة الجودة الأمريكان وطبقت هذه الطريقة على الشركات اليابانية الشهيرة لتحسين وتطوير الانتاج وما نراه اليوم خير شاهد على تطور هذه البلاد صناعيا، وهذه الطريقة لا تقتصر على العمل الصناعي فقط بل تتعدى الى كافة مجالات الحياة ويدور محورها على المحاور الاربعة المهمة (خطط- نفذ – تحقق – صحح).

فبعد تحديد الاولويات والتخلص من الاعمال التي تشغل وقتنا وهي في الواقع من الخداع او الهروب من حالة الملل والروتين والكسل ،بعد هذا نركز على الاسباب العشرين

بالمائة التي تنتج لنا ثمانين بالمائة وفق النظريات المتقدمة بعدها نلتجئ الى طريقة التحسين المستمر والذي فحواه قول امير المؤمنين ﷺ للشيخ الشامي (من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كانت الدنيا همته اشتدت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شر يوميه فمحروم، ومن لم يبال ما رزئ من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير له) والى نفس هذا المعنى أشارت رواية الامام الكاظم ﷺ التي نقلنا صدرها فيما تقدم (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسنا استزاد منه وحمد الله عليه ،وإن عمل شيئا شرا استغفر الله وتاب اليه)[٥٥]

وعن الصادق، عن آبائه ﷺ قال: قال علي ﷺ: ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل في خيرا واعمل في خيرا أشهد لك به يوم القيامة فانك لن تراني بعده أبدا [٥٦]، ومن هذه النصوص الشريفة وغيرها العشرات بل المئات التي تحث على التزود والسعي الحثيث قال تعالى (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)[٥٧] وقال تعالى أيضا (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)[٥٨] وقال ايضا (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[٥٩] ،فهذه النصوص الشريفة سبقت الطريقة اليابانية بمئات السنين وهي تُحرك الفرد المسلم وتدفعه دفعا حثيثا وسريعا للتزود واغتنام الفرص لنيل سعادة الدارين.

ولقد جسّد علماؤنا – رضوان الله عليهم- الاشتغال العلمي والاهتمام بالوقت بأفضل اشكاله ورسموا للعالم الاسلامي بل للإنسانية بأسرها صورة مشرقة للعالم العامل الذي يبذل قصارى جهده لخدمة الإنسانية رغم الظروف التي كانوا يعانون منها ومنهم من أخذ منه العمر مأخذا وهو لا يزال مشتغلا ومستغلا لوقته من دون كسل او ملل ومن شاء فليراجع سيرتهم من خلال كتب التراجم والسير ليطلع على المزيد.

---

[٥٥] - الاختصاص – المفيد
[٥٦] - البحار- ج٦٨
[٥٧] - البقرة الاية - ١٩٧
[٥٨] - آل عمران ١٣٣
[٥٩] - الحديد ٢١

العمل	الوقت
الاستيقاظ (صلاة الصبح والافطار)	**٥:٠٠ – ٦:٠٠**
الدروس	**٧:٠٠ – ١٢:٠٠**
صلاة الظهرين - الغداء	**١٢:٠٠ -٢:٠٠**
الاستراحة والنوم	**٢:٠٠ – ٥:٠٠**
صلاة العشائين – وجبة العشاء	**٥:٣٠ – ٧:٠٠**
مطالعة الدروس (الحفظ – المباحثة– التقرير)	**٧:٠٠ – ١٢:٠٠**
النوم	**١٢:٠٠ -٥:٠٠**

الجدول الابتدائي

وبملاحظة الجدول أعلاه نرى مقدار الوقت المهدور وعليه لابد من إعداد جدول جديد أكثر دقة ومراعاة للوقت.

العمل	الوقت
الاستيقاظ (الصلاة –وجبة الافطار)	٥:٠٠ -٦:٠٠
قراءة الدرس قبل حضوره (لكل درس ربع ساعة)	٦:٠٠ -٧:٠٠
الدروس	٧:٠٠ -١٢:٠٠
الوقت المتخلل بين الدروس	يُستغل للمباحثة السريعة للدرس المتصرم
صلاة الظهرين – وجبة الغداء	١٢:٠٠ -١:٠٠
وقت الاستراحة - النوم	١:٠٠ -٢:٣٠
مطالعة الدروس(الحفظ- التقرير- المباحثة)	٢:٣٠ -٥:٣٠
صلاة العشائين – وجبة العشاء	٥:٣٠ -٧:٠٠
تلافي الفائت	٧:٠٠ – ٨:٠٠
المطالعات الخارجية	٨:٠٠ – ١٠:٠٠
الاعمال المهمة غير المستعجلة (كمراجعة الامتحان قبل شهر من موعده)	١٠:٠٠ -١١:٠٠
النوم	١١:٠٠ -٤:٣٠

الجدول الجدّي

تنبيه: اذا التزم الطالب المجد بدرسه وبحسب الطريقة التي ذكرناها فسيبقى عنده متسع من الوقت بحسب الجدول أعلاه ، وكذا في غير ايام تحصيل الدرس الذي يبلغ في احسن حالاته مائة وخمسين يوما من اصل ثلاثمائة وخمسة وستين يوما في السنة للاستزادة ومطالعة المصادر المهمة والضرورية التي لابد ان يطلع عليها طالب العلم ككتب التفاسير والتاريخ والتراجم والسير والمعاجم وبعض الدراسات المعاصرة و ما يثار من شبهات وغيرها من الامور المهمة ،فلا يقتصر الطالب على درسه فقط وعليه أن يستشير أهل العلم والورع من فضلاء الحوزة ليرشدوه الى مصادر المطالعة المهمة.

كيف تكتب بحثا علميا

بعد الاســـتعانة بالله تعالى وقبل أن نبدأ لابد من الإشـــارة إلى معنى البحث العلمي فنقول: إن البحث العلمي يأتي على صور متعددة وهي:

١- التصنيف والتنظيم
٢- التأليف
٣- جمع المتفرق
٤- الإعداد والتحضير
٥- الدراسة والتحليل
٦- الابتكار والإبداع
٧- تحقيق صحة معلومة مجهولة.

*خطوات البحث العلمي:

اولا: تحديد الموضوع: وفي هذا السياق لابد أن يكون الموضوع حيويا وذا فائدة كبيرة للمتلقي كأن يكون طرحا لمشـــكلة قائمة وحلها او توجيه إلى أمر مغفول عنه على الرغم من اهميته وغيرها....

ثانيا: وضـــع المنهجية المناســـبة للموضـــوع على شـــكل فصـــول او ابواب او مباحث، والافضـــل في هذه المرحلة ان يلاحظ الباحث على الأقل بعضـــا مما كُتب في هذا الموضـــوع للاستفادة من منهجية البحث المأخوذة في تلك الأبحاث.

ثالثا: جمع المعلومات المتعلقة بموضـــوعة البحث من الكتب والمراجع والمعاجم والمقابلات والاستبيانات وغيرها.

رابعا: تشـكيل الفرضـيات وفي هذه المرحلة يخمن الباحث الفرضـيات التي تصـب في موضـوعة سـواء في تفاقم المشـكلة او حلها ويعتمد الباحث على خبرته واطلاعه وسـيطرته على الموضوع من خلال كثرة الاطلاع والمتابعة.

خامسا: تحليل المعلومات والنتائج النهائية للبحث والتنسيق بينها والمصير الى النتيجة النهائية بأسلوب وقلم الباحث مع ذكر وجهة نظره بخصوص الموضوع ان كان اهلاً لذلك.

***عناصر البحث:**

١- المقدمة: وتتضمن ذكر عنوان البحث واهميته وسبب اختياره وبيان الهدف من البحث وعرض مكونات البحث أعني الفصـول والمباحث الاسـاسـية بصـورة مختصرة وكذا بيان الدراسات السابقة وبيان وجوه القوة والضعف فيها واخيرا يتوجه الباحث بالشكر لكل من قدم له العون والمساعدة.

٢- ابواب البحث وفصوله ومباحثه.

٣- الخاتمة: وتتضـمن النتائج التي توصـل اليها الباحث واسـتعراضـها بصـورة متسـلسـلة حسب المنهجية الموضوعة للبحث مع التحليل وذكر أسباب تلك النتائج وبيان المتغيرات الحاصـــلة في بحثه والتي ســـاقته الى هذه النتيجة وأخيرا توجيه التوصـــيات والمقترحات بخصوص بحثه وتطويره والرقي به.

٤- فهرست الموضوعات والمحتويات كالرسوم والمشجرات والصور، فيذكر الموضوع وفي مقابله رقم الصفحة المتواجد فيها.

٦- ذكر المصـــادر والمراجع التي اعتمدها الباحث وذكرها بصـــورة مرتبة على حســـب الحروف (أ، ب، ت....) فيذكر (اسم المؤلف، اسم الكتاب، مكان النشر، دار النشر، رقم الطبعة، ســـنة النشر) فمثلا: محمد بن الحســـن الحر العاملي/وســـائل الشيعة/بيروت-لبنان/مؤسسة الأعلمي/الطبعة الاولى -٢٠٠٧م

***مهارات ضرورية:**

أ- طرق نقل المعلومة والنقل إما ان يكون نقلا حرفيا وفي هذه الصورة يوضع الكلام بين علامتي تنصيص،، ،،مع الإشارة الى ذلك في الهامش اما الصورة الثانية وهي النقل بالمعنى او بتصرف ولا يوضع بين علامتي تنصيص ولكن يشار اليه بالهامش بأنه نقل بتصرف.

ب- طرق جمع المعلومة وتكون عن طريق البطاقات او المسودات وفي هذه الحالة لابد ان تكون المواضيع الرئيسية والفرعية في ذهن الباحث فمتى ما حصلت له معلومة تخص الموضوع الفلاني في الفصل الفلاني دوّنها في البطاقة او الكراس الخاص به.

ج- توثيق المعلومات عن طريق الهوامش.

د- الحرص على تناسق المعلومات وربطها ببعض.

هـ- الاهتمام بعلامات الترقيم والقضايا الإملائية.

التلخيص

وهو إبراز النص الأصلي بأسلوب كاتب التلخيص في عدد قليل من الكلمات مع الحفاظ على صلب النص المكتوب.

فائدته: وهي الاستيعاب والتركيز والقدرة على التقاط العناصر المهمة للموضوع من خلال حصر الأفكار الرئيسية.

***خطواته:**

اولا: القراءة الاستكشافية وفيها يتم تحديد الأفكار الرئيسية في النص ووضع خطوط حمراء تحتها.

ثانيا: لا يجوز التحريف والتعديل في المادة الملخصة حتى لا يتشوه او يحرّف المعنى الاصلي.

ثالثا: المعرفة والتمييز بين الأفكار الرئيسية والفرعية حتى يتم الترتيب بين الأهم والمهم.

رابعا: التوازن بين فقرات التلخيص والتسلسل في الأفكار.

*مثال: تلخيص الكتاب اولاً نقرأ الكتاب قراءة استكشافية استيعابية، ثانيا: بيان المحاور الرئيسية والفرعية في الكتاب، ثالثا الربط بين المحاور ومن بعدها نكتب التلخيص.